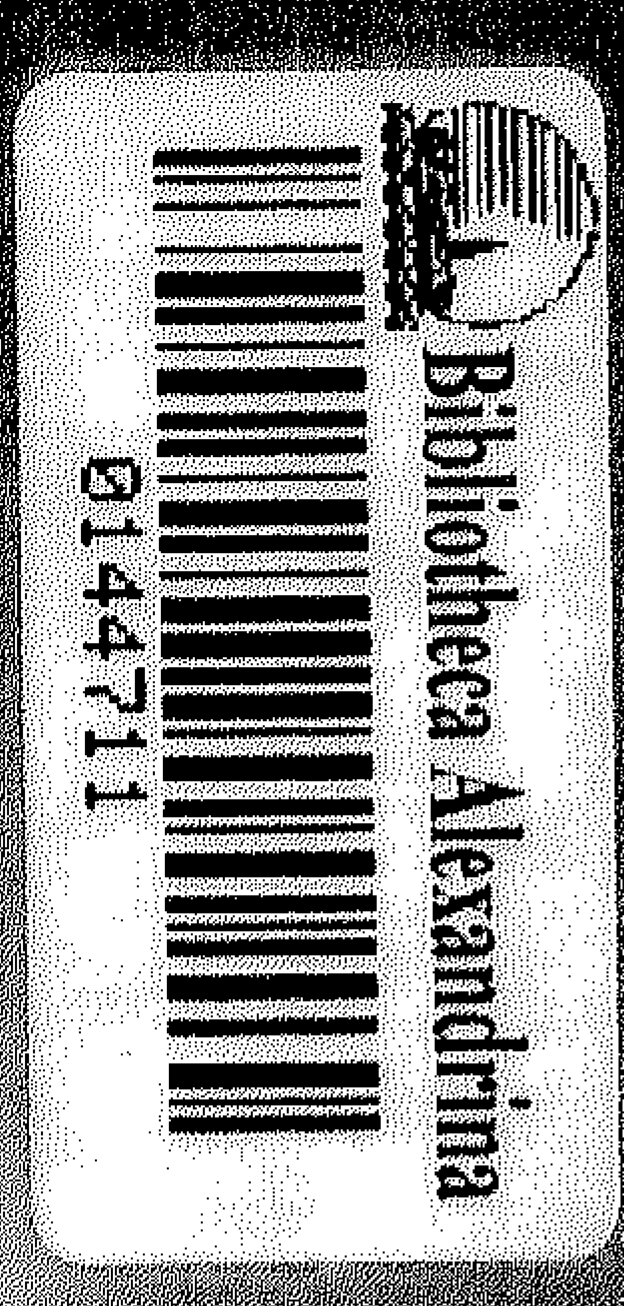
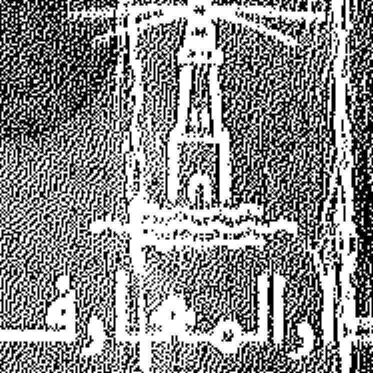


دكتور محمد المسيّر





دار المعارف



صلى الله عليه وسلم

دكتور محمد سيد أحمد المسير



دار المعارف

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعد ..

فهذه جولة فى رياض السنة الشريفة، تتضمن وقائع من المجتمع الإسلامى الأول، جرت على شكل حوار عقلى، أو نبعت من مشكلة اجتماعية، أو قادت إليها تساؤلات راقية، وكانت الكلمة النبوية بلسما شافيا، وحكما عادلا، وحكمة بالغة..

ونحن نقدم هذه الوقائع فى إطار الملابسات التى أحاطت بها، إلى أن وصلت إلى مقام رسول الله ﷺ فقال كلمته الفاصلة..

وهكذا نقف خاشعين أمام مائة وثمانية عشر حديثا تقريبا وردت فى أصح كتب السنة، صحيحى الإمام البخارى والإمام مسلم.. اللهم إلا بضعة أحاديث وردت فى باقى كتب السنة، قبلها العلماء وأكدوا العمل بها..

وسقنا هذه الأحاديث فى خمسة فصول هى:

العقيدة ، والقيم ، والعبادات ، والأسرة، والطيبات من الرزق..

وقصدنا إلى فقه الحديث مباشرة بعبارة ميسرة وبلا تفاصيل جانبية..

والله نسأل أن ينفعنا بما علمنا وأن ينفع بنا وأن يجمعنا على حب رسول الله ﷺ والولاء الكامل لدعوته وسنته..

القاهرة فى ١٢ من صفر سنة ١٤٢١هـ

١٦ / ٥ / ٢٠٠٠ م

د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة – كلية أصول الدين – جامعة الأزهر

الفصل الأول

فى العقيدة

- رحمة الله تعالى
- حرمة من قال - لا إله إلا الله
- لقاء الله تعالى
- الله أقوى من كل قوى
- من بركة الرسول
- الأدب فى مجلس الرسول
- من تواضع الرسول
- حب الله ورسوله
- بركة المدينة المنورة
- الأسباب والمسببات
- الرفق فى الدعوة إلى الله
- الشهداء
- المجاهد المسلم
- شهادة الناس
- التضحيات سبيل النصر
- تطور الحياة والفكر
- هوان الدنيا
- وقت الفتنة

رحمة الله تعالى

الله تعالى خلقنا، ورزقنا، ويسر لنا الكون، وسخر لنا الكائنات، وأمدنا بما لا يحصى من النعم..

إن المسلم يستفتح صلاته وعبادته ومعاملاته كلها بسم الله الرحمن الرحيم..

ويقرأ المسلم فاتحة الكتاب فى صلاته سبع عشرة مرة على الأقل كل يوم وليلة، وفيها (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم).

إن رحمة الله تعالى تتجلى على الإنسان منذ كان فى رحم أمه نطفة ثم علقة، ثم مضغة فعظاما ثم عظاما مكسوة باللحم، ثم نفخ فيه الروح وأمسك عليه الحياة في ظلمات ثلاث، هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، ثم خرج من ذلك القرار المكين بعدما يسر له السبيل، ثم ألهمه الرضاعة وأنزل له لبنا مصفى، وحبب إليه والديه وحببه إليهما..

ويسر الله للإنسان فى مراحل حياته على ظهر هذه الأرض - كل أسباب الرزق والطعام والماء، وأحاطه بما ينفعه من السماء والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.. كل ذلك صنع الله وحده وتدبير الخالق سبحانه..

ولم يترك الله تعالى الإنسان هملا بل أنزل إليه الوحى، وقدم إليه الشرع، وبيّن له الهدى من الضلال، والحق من الباطل، والرشد من الغى.. وكان ختام الوحى الإلهى القرآن الكريم يهدى للتى هى أقوم وصدق الله حيث يقول:

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

(المائدة / ١٥، ١٦)

وذات يوم قدم على النبى ﷺ سبى، جاء به عمر بن الخطاب رضى الله عنـه، غنمه من معارك المشركين، وكان فى السبى امرأة تبحث عـن صبـى لهـا، وظلـت تسعى بين مجموعة الأسرى عسى أن تجد صبيها، وفجأة التقطته عيناها فأخذتـه بحنو بالغ وشفقة كبيرة، فألصقته بصدرها وبدأت تلقمه ثديها وترضعه..

وكان الموقف مؤثرا فقال الرسول ﷺ لأصحابه: أترون هذه المرأة طارحـة ولدهـا فى النار، قالوا: لا والله وهى تقدر على ألاّ تطرحه..

أى أن هذه المرأة لا يمكن بحـال مـن الأحـوال أن تفـرط فـى وليدهـا بـل تظـل حريصة عليه، حفية به، وتبذل أقصى ما تستطيع..

عندئذ قال النبى ﷺ : **الله أرحم بعباده من هذه بولدها.**

حرمة من قال: « لا إله إلا الله»

المسلم أخ للمسلم يحرص عليه ويدافـع عنـه ويصـون حرماتـه، ويظـل الجميع آمنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فحق الأخوة الإسلامية كبير وعظيم، قـال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

(الحجرات/١٠)

وكل من نطق بشهادة التوحيد وقال (لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله) — أمـن على نفسه وماله وعرضه، وعفا الله عما سلف من أعمال قبل دخوله فى الإسـلام، فالإسلام يجب ما قبله، ولعلنا ندرك كيف كان عمر بن الخطـاب رضـى الله عنـه عدوا للإسلام ثم أصبح من أخلص الناس لرسول الله والمسلمين، ولقـب بالفـاروق وكان خليفة للمسلمين بعد أبى بكر رضى الله عنه وأميرا للمؤمنين.

وذات يـوم بعـث رسـول الله ﷺ بسـرية مـن أصحابـه المـهاجرين والأنصـار، يتعقبون جماعة كافرة تؤذى المسلمين وتعتدى علـى حرماتـهم فـأدركوهم وهزموهـم بإذن الله، وطارد أسـامة بـن زيـد ورجـل مـن الأنصـار واحـدا مـن هـذه الجماعـة المشركة، فلما اقتربوا منه نطق هذا المشرك بكلمة التوحيد قائلا: لا إله إلا الله..

وهنا كف الأنصارى عن الرجل وأعرض عنه ولكن أسامة بن زيد واصل هجومه على الرجل وطعنه برمحه حتى قتله..

فلما عادت السرية إلى المدينة المنورة والتقى الجنود برسول الله ﷺ، قصوا عليه ما حدث، فغضب رسول الله غضبا شديدا ووقف أسامة يدافع عن نفسه..

قال الرسول ﷺ: لم قتلته؟ قال أسامة: يا رسول الله أوجع فى المسلمين وقتل فلانا وفلانـا، وسمى له نفرًا، وإنى حملت عليـه فلما رأى السيف قـال: لا إلـه إلا الله.

قال الرسول ﷺ: أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟!

قال أسامة: يا رسول الله: إنما قالها خوفًا من السلاح، إنما كان متعوذا.

قال الرسول ﷺ : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!

فما زال يكررها حتى قال أسامة: ليتنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم..

أى أن أسامة يريد أن يكون إسلامه ماحيا للذنوب ويكون على إسلام لا معصية بعده..

ثم قال أسامة: يا رسول الله استغفر لى.

عندئذ قال النبى ﷺ : **وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة..**

لقاء الله تعالى

حياة الإنسان مرهونة بأجل مسمى، حدده الله تعالى، والعاقل من حرص على حياته فانتفع بها الانتفاع الصحيح فآمن وعمل صالحا واستقام على الطاعة في قلبه وجوارحه، ومن رحمة الله بعباده أنه سبحانه يسدد خطاهم ويوفقهم لما فيه الخير طالما صدقت نياتهم وبدأوا الطريق إلى الله، فالتيسير لليسرى إنما هو للمؤمنين الصادقين، وعلى العكس من ذلك إذا انحرف الإنسان وجانب الصواب وحاد عن الحق فإن الله تعالى يمنع عنه ألطافه ويتركه وما اختار لنفسه..

قال الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾.

(الليل ٥ –١٠)

ومن تيسير الله لعباده الصالحين أن الملائكة تتنزل عليهم في مواطن كثيرة تلهمهم الخير وتبشرهم حسن العواقب عند الموت.. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾.

(فصلت/ ٣٠، ٣١)

وذات يوم قال النبي ﷺ: **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.**

هنا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: يا نبى الله أكراهية الموت،فكلنا نكره الموت؟!

تعنى هل المقصود من كراهة لقاء الله هو كراهة الموت، فطبيعة البشر أنهم يكرهون الموت، وهو صعب على النفس البشرية، فهل يا ترى من كره الموت فكأنه كره لقاء الله تعالى، وبالتالى يناله السخط والغضب من الله؟!

فبدأ رسول الله ﷺ يوضح مقصود حديثه، وهو أن الإنسان فى حال الاحتضار وقرب الموت، عندما يشخص البصر، ويحشرج الصدر، ويقشعر الجلد وتتشنج الأصابع.. فى هذه اللحظة يكشف الحجاب عن الإنسان ويصبح بصره حديدا فيرى ما لم يكن يراه من قبل، ويطلع على ما وراء الطبيعة، ويشاهد ما أعده الله تعالى له من الجزاء، وتتنزل الملائكة بالبشرى للمؤمنين وبالوعيد للكافرين، وفى هذه اللحظة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا.. ويرى أهل السعادة مأواهم فى النعيم فيحبون لقاء الله، ويرى أهل الشقاوة مأواهم فى الجحيم فيكرهون لقاء الله..

عندئذ قال النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها: **(ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه).**

الله أقوى من كل قوى

ما مِنْ قوى فى الناس إلا وهناك مَنْ هو أقوى منه، وأقوياء اليوم ضعفاء الغد، فإن دوام الحال من المحال، ولا أحد يملك لنفسه الصحة أبدا، ولا أحد يملك لنفسه القوة دائمًا.. قال الله تعالى:

﴿ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

(الروم — ٥٤)

وعلى الذين يظلمون الناس بقوتهم وبطشهم أن يعلموا أن الله أكبر من كل شىء وأن الله تعالى لا يرضى لعباده الظلم، وأن الله تعالى يقتص من الظالم ولو بعد حين.. قال جل شأنه:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

(النحل — ٦١).

وذات يوم قام أبو مسعود البدرى فضرب غلاما له بالسوط، وغضب عليه غضبا شديدا، حتى أنه سمع صوتا يناديه من خلفه: اعلم أبا مسعود، فلم يفهم الصوت ولم يدرك صاحبه، فلما اقترب منه إذا هو برسول الله ﷺ، وإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود..

فبهت الرجل وذهل لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتأدبون فى حضرة رسول الله ﷺ ويحرصون على الالتزام بتوجيهاته الرشيدة..

وبمجرد أن وجد أبو مسعود رسول الله أمامه ألقى السوط من يده، وأقبل يستمع، فقال له الرسول ﷺ:

اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام..

وتلك حكمة بالغة، لو عقلها الناس ما ظلموا ولا بغوا فى الأرض ولا استكبر إنسان على أخيه.. فإن الإنسان إذا تذكر قدرة الله عليه خشع قلبه وتواضع لخلق الله..

وبعدما استمع أبو مسعود رضى الله عنه لمقالة رسول الله قال: لا أضرب مملوكا بعده أبدا..

ثم تقدم خطوة أخرى فقال: يا رسول الله هو حُرّ لوجه الله..

إن أبا مسعود حين أحس بظلمه لعبده لم يجد بدا من الاعتراف بالخطأ، ثم حاول أن يصلح خطأه فأعتق العبد وحرره من الرق حسبة لوجه الله تعالى..

فلم يكتف بالاعتذار لعبده والتأسف له وإنما جاد عليه بالحرية..

وعندئذ قال النبى ﷺ: **أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار..**

من بركة رسول الله

أيد الله تعالى رسوله محمدا ﷺ بخوارق العادات، التى تجعل الناس يقرون بفضل الله تعالى على رسوله وعليهم فإن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، وله الخلق والأمر، يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه..

وذات يوم فى غزوة تبوك ، التى وقعت فى العام التاسع للهجرة على حدود الشام، وصاحبها جهد ومشقة وعسرة، وذكرها القرآن المجيد فى سورة التوبة فى آيات بينات منها قوله تعالى:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

(الآية : ١١٧)

فى هذه الغزوة أصاب الناس جوع شديد، ولم يجدوا ما يأكلون فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا؟، يعنى أنهم لم يجدوا أمامهم مفرا من ذبح الإبل التى يستخدمونها فى السقاية للجيش، واستأذنوا رسول الله فى أن يمنحهم تصريحا بذبحها باعتباره القائد الأعلى للجيش، حتى يأكلوا لحمها ويتخذوا دهنا من شحومها..

ولما عرض الأمر على رسول الله ، ووجد أنهم قد استنفدوا كل ما معهم من زاد، ولم يعد أمامهم بُدٌّ من ذلك، قال: افعلوا، لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء إلى رسول الله وقال: يا رسول الله إن فعلت قَلَّ الظهر، يعنى لو أن الناس ذبحوا الإبل التى يستعينون بها فى القتال وإعداد الجيش ضاعت قوتهم ولم يجدوا ما يحملون عليه أمتعتهم وأسلحتهم.. واقترح عمر بن الخطاب اقتراحا بديلا فقال:

ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل البركة فى ذلك..

إن عمر رضى الله عنه كان ملهما، وكان إيمانه قويا حتى أن الشيطان لا يلتقى معه فى طريق واحدة، لقد اقترح عمر أن يأتى الناس ببقايا الطعام الموجودة لديهم ويضعونها بين يدى رسول الله ﷺ فيدعو الله أن يبارك هذا الطعام القليل حتى يأكل منه الجيش كله.

فوجد الرسول هذا الاقتراح وجيها فوافق عليه لأنه على يقين كامل من صدق نبوته، وكرمه على ربه، ورعاية الله له وتأييده لرسالته..

فدعا عمر رضى الله عنه بفراش فبسطه ثم طلب من الناس أن يجمعوا فضل طعامهم، وتوالى الناس كل يأتى بما بقى عنده، فجعل الرجل يجىء بكف ذرة، ويجىء الآخر بكف تمر، ويجى الآخر بكسرة.. وهكذا حتى اجتمع على الفراش شىء يسير من الطعام..

ثم جاء رسول الله ﷺ وتوجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يبارك هذا الطعام اليسير حتى يأكل الجيش كله.. وحين انتهى الرسول من دعائه قال: خذوا فى أوعيتكم فبادر الناس إلى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه فأكلوا حتى شبعوا وبقيت بعض الأطعمة التى زادت عن حاجة الناس..

وتبين للجميع فضل الله على رسوله حين استجاب دعاءه، وفضل الله على عباده حين أنقذهم من الهلاك.. وثبت اليقين الكامل بنبوة محمد ﷺ ورسالته التى تحمل الخير والنور والرحمة للعالمين..

عندئذ قال النبى ﷺ :

أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة.

الأدب فى مجلس رسول الله

المسلم يجاهد نفسه ، ويعمل على مرضاة الله ، ويسعى للفوز بالجنة، والإنسان قد لا يخلو من طبع غريب أو عادة فيها نشاز، لكنه يؤدب نفسه، ويهذب طبعه، ويصلحُ عادته، ويغالب هواه..

ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم أشد حبا لله ورسوله، وأكثر الناس حرصا على مرضاة الله، وأفضل الناس التزاما بالأدب فى حضرة رسول الله ﷺ، فإن طاعة الرسول من طاعة الله، وإن حب الرسول من حب الله..

ويروى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية الكريمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

(الحجرات /٢)

تلك الآية التى تعلم المسلم أدب الخطاب مع رسول الله، حتى يكون لين القول، حسن التعبير، ندى الصوت، رقيق النداء..

فلما سمعها أحد الصحابة وهو ثابت بن قيس، جلس فى بيته واحتبس عن الذهاب إلى مجلس رسول الله ﷺ خشية أن يكون من أهل النار، لأنه كان صاحب صوت جهير، وكان خطيب الأنصار..

وحين غاب عن مجلس رسول الله افتقده المصطفى الكريم وسأل عنه سعد بن معاذ، وقال له: يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكَى؟

أى لماذا تخلف ثابت بن قيس ولم يعد يأتى إلى المجلس؟ هل أصابه مرض؟

فالرسول ﷺ كان يتفقد أصحابه، يسأل عن غائبهم ويعود مريضهم، ويسعى في حوائجهم ويتودد إليهم ويحبهم ويحبونه..

فقال سعد: إنه لجارى وما علمت له شكوى، أى أنه جار له لكنه لم يسمع أنه مريض..

فذهب سعد بن معاذ إلى ثابت بن قيس واطمأن عليه وذكر له سؤال الرسول عنه واستفساره عن صحته، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار..

لقد ظن الرجل أن الآية الكريمة نزلت فى حقه لأن صوته مرتفع بطبعه وخشى من طول مجلسه مع رسول الله أن يتفلت منه صوته عاليا فيدخل فى عداد الهالكين، ولذلك اشتد حذره، وعاد سعد إلى النبى ﷺ وأخبره بسبب تغيب ثابت بن قيس من المجلس النبوى وأنه خشى على نفسه أن يكون ممن تعنيهم الآية، فطمأنه الرسول وحمد له حسن أدبه وطهارة قلبه..

وعندئذ قال النبى ﷺ : **بل هو من أهل الجنة.**

من تواضع الرسول

حرص الرسول ﷺ على أن يتودد للناس جميعا، ويؤلف قلوبهم، ويدخل السرور عليهم، فكان يجيب الداعى، ويقبل الهدية ويكافىء عليها، ويتواضع لكل أحد..

وذات يوم وجهت إليه أم أنس بن مالك رضى الله عنهما دعوة لطعام صنعته، وأرادت أن تحظى برسول الله فى بيتها، فأكرمها الرسول ﷺ ولبى الدعوة، وكان ابنها أنس خادما للمصطفى الكريم..

وبعدما طعم الرسول أراد أن يعلم أهل البيت بعض الأحكام العملية للصلاة بالإضافة إلى تبريك المكان والدعاء لأهله، فطلب منهم القيام إلى صلاة يؤمهم فيها وكانوا ثلاثة: أنس بن مالك، وأمه أم سُليم بنت مِلحان الأنصارية الخزرجية واسمها سهلة وقيل رميثة، وخالته أم حرام بنت ملحان وهى زوجة الصحابى الجليل عبادة بن الصامت، واسمها الرميصاء وقيل الغميصاء..

وقام أنس إلى حصير من جريد النخل قد اسود من طول استعماله فنضحه بماء ليلين ويذهب عنه الغبار، وقدمه إلى الرسول ﷺ ليصلى عليه..

ووقف الرسول الكريم إماما، وجعل أنسًا على يمينه، وصلت المرأتان خلفهما، فإن من فقه الصلاة أن صفوف الصبية تسبق صفوف النساء وتتأخر عن صفوف الرجال، لأن الإسلام حريص على العفاف الشريف وأن تكون علاقة الرجل بالمرأة علاقة طاهرة بعيدة عن الريبة، وأن تظل ساحات المساجد فى منأى عن نزغات الشيطان ونظرات الإثم والفجور..

وأثناء صلاة الرسول بأهل هذا البيت دعا لهم بكل خير من خير الدنيا والآخرة، وحيث إن الأم حريصة على وليدها وتبغى الخير لأولادها فإن أم سُليم

قد رغبت أن يكون لابنها أنس دعوة خاصة فقالت: يا رسول الله خويدمك ادع الله له.

وخويدم تصغير كلمة خادم، فإن أنس بن مالك قد خدم رسول الله طوال العهد المدنى، مدة عشر سنين، ولم يعنفه الرسول مرة واحدة ولا اعترض عليه ولا آلمه بشيء..

عندئذ دعا النبى ﷺ لأنس بكل خير، وكان فى آخر ما دعا له به أنه قال: **اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه..**

حب الله ورسوله

الله تعالى هو رب العالمين، ونعمه علـى الإنسان لا تعد ولا تحصى، وتدبيره لخلقه لا ينقطع؛ وإذا كان المرء مجبولاً على حب من أحسن إليه، فإن الله تعالى أولى بالحب والتقديس، وأحق بالعبادة والخضوع له.

وحيث إن الله تعالى قد بعث محمدا ﷺ رسولا هاديا يبين الحق ويدعو إلى الصدق، ويأمر بالفضيلة ويحث على الخير - فقد حق علينا أن نحبه ونعزره ونوقره، حتى يكون الله ورسوله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأولادنا والناس أجمعين..

وحين يتحقق هذا الحب الخالص لله والرسول تستقيم الحياة وتصحح العلاقات الاجتماعية وتصبح الرحمة هى العنوان العام..

وذات يوم خرج رسول الله ﷺ من المسجد، وبرفقته أنس بن مالك خادمه الأمين، وعند باب المسجد التقى بهما رجل، فسارع إلى الرسول يسأله سؤالاً عجبا: متى الساعة؟!

يريد هذا الرجل أن يعرف موعد القيامة وزمان وقوعها، حيث يتغير نظام الكون والكائنات ويبعث الله من فى القبور للحساب والجزاء..

هنا وجه الرسول ﷺ الرجل إلى وجهة عملية أحرى به أن يفكر فيها جيدا، فقال له: ما أعددت لها؟!

أى أن زمن الساعة وموعد القيامة ليس هدفا فى ذاته، وإنما شأن العقلاء أن يحرصوا على ما ينفعهم، فالمرء يستعد للقيامة بمزيد العمل الصالح والبر والمعروف، والولاء لمنهج الله والالتزام بشرعه..

ولما سمع الرجل سؤال الرسول ﷺ خجل وبدأ يعيد ترتيب أفكاره، ثم قال للرسول الكريم: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله..

أى أن الرجل ليس مكثرا من نوافل العبادة فهو يؤدى الفرائض، ويستمسك بدينه على قدر طاقته، ويقف عند حدود الله، لكن الشىء المستقر فى قلبه، والمتمكن من فؤاده هو حب الله ورسوله، فهو يستشعر جلال الله وكماله ويقدر الرسول ويوقره، ونية المؤمن أبلغ من عمله ولذا فهو يطمع فى عفو الله وكرمه وجوده وإحسانه، والإنسان بنيته الصالحة قد يحقق من الثواب ما لا يحقق بعمله الذى يرتبط بطاقات الإنسان المحدودة..

عندئذ قال النبى ﷺ: **فأنت مع من أحببت..**

بركة المدينة المنورة

المدينة المنورة فضلها عظيم، ومكانتها كبيرة، ومنزلتها فى الدين رفيعة، فهى ملتقى المهاجرين والأنصار، لقد جاء المسلمون من مكة بعد ثلاث عشرة سنة من بدء الدعوة الإسلامية، ذاقوا خلالها ألوان البأساء والشدة، فاستقبلهم أهل المدينة استقبالا طيبا، وفيهم نزل قول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(الحشر/٩)

والمدينة المنورة كانت تسمى قبل الهجرة النبوية يثرب، فسماها الرسول المدينة ووصفها المسلمون بالمنورة، ولقد تأسست فيها الدولة الإسلامية الأولى، ومنها خرجت جيوش الرحمن وكتائب الإسلام تنشر نور الله فى الآفاق وتمنح الحرية والكرامة للمعذبين فى الأرض، وتخلص الشعوب من الطغاة المستبدين لكى يعيش الناس عباد الله إخوانا..

وتضم المدينة المسجد النبوى الشريف أحد المساجد الثلاثة التى اختصها الله تعالى بمضاعفة الثواب، فهو فى المرتبة الثانية بعد المسجد الحرام ويليه المسجد الأقصى فى القدس الشريف..

ويضم المسجد النبوى الروضة الشريفة التى هى من رياض الجنة، وتقع بين المنبر والقبر..

ويظل للمدينة فضلها إلى يوم القيامة، فلا يدخلها الطاعون ولا الدجال، وفى آخر الزمن يأوى الإيمان إليها ويلجأ المؤمنون الصادقون إلى رحابها لا يخالطهم أحد فى قلبه نفاق أو ريبة..

وقد جعل الرسول ﷺ المدينة حرما آمنا كما جعل إبراهيم مكة حرما آمنا، وقد دعا الرسول ﷺ بالبركة لأهل المدينة فى معاشهم وكافة شئون حياتهم، فكل ما فيها مبارك..

وكان الناس فى المدينة إذا رأوا أول الثمر لأشجار المدينة وحدائقها جاءوا به إلى رسول الله ﷺ رغبة فى دعائه، وإعلاما بفضل الله عليهم فى إخراج الثمرات، وبشرى للناس بحلول وقت الزكاة والصدقات للزروع والثمار، وكان الرسول ﷺ يعطى هذا الثمر لأصغر من يحضره من الولدان لأنهم أرغب فيه وأكثر تطلعا إليه، وهذا من مكارم أخلاقه ﷺ.

وعندئذ يقول النبى ﷺ: **اللهم بارك لنا فى ثمرنا، وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وبارك لنا فى مُدِّنا (والمد نوع من المكاييل) اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإنى عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه.**

الأسباب والمسببات

وضع الله تعالى للكون نواميس وسننا، فهى جارية بمشيئته وسلطانه وقهره، فارتباط الأسباب بالمسببات ارتباط قائم على الإرادة الإلهية، ولو شاء الله غير ذلك لكان..

والمسلم يعتقد أن الكون كله خاضع لقدرة الله عز وجل، تلك القدرة القاهرة التى لا يحدها شيء ولا يعوقها شيء، فالله أكبر..

والمسلم يسعى فى مناكب الأرض ويبذل الجهد ويجتهد ويدع العواقب لله أحكم الحاكمين، فالمسلم يعمل ليكسب، ويأكل ليشبع، ويشرب ليروى، ويتداوى ليشفى، لكن الأمر من قبل ومن بعد إنما هو لله رب العالمين..

والمسلم لا يتشاءم ولا يستطلع الغيب بكهانة أو تنجيم أو سحر أو قراءة كف أو ضرب رمل وودع.. فتلك وسائل خرافية تتنافى مع صدق الإيمان وكرامة العقل.

والنجوم والكواكب لا علاقة لها بمصائر الناس وسعادتهم أو شقاوتهم، وليس لها تأثير ذاتى فى سلوكيات الخير والشر للإنسان، وإنما نتعلم علم الفلك لنعرف الطقس والمناخ والأحوال الجوية ومنازل القمر لتحديد أوائل الشهور العربية وهكذا..

وعندما كان رسول الله ﷺ بالحديبية (وهى اسم بئر بينها وبين مكة ما يقرب من أربعين كيلومترا) وفى العام السادس للهجرة، صلى بالمسلمين صلاة الصبح على إثر مطر كان من الليل، فلما انتهى من صلاته أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم..

لقد أراد الرسول ﷺ أن يعلم أصحابه درسا فى العقيدة والإيمان، ويبين لهم حقيقة قضية الأسباب والمسببات، فشرح لهم مسألة نزول المطر ومدى ارتباطها

بالأسباب الكونية من البخار والتكثيف، والحرارة، والسحاب والجاذبية الأرضية والرياح.. إلى غير ذلك.

فتلك الأسباب جميعها مرهونة بإرادة الله عز وجل، ويجب ألاّ نقتصر في تفسيرنا لظواهر الكون على المحسوسات وما يخضع لتجاربنا وننسى الخالق المبدع المدبر..

عندئذ قال النبي ﷺ لأصحابه: **قال عز وجل أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، ومن قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب.**

الرفق فى الدعوة إلى الله

الدعـوة إلى الله تعـالى رحمـة وهدايـة، واسـتقامة علـى الخلـق، ومعاملـة طيبـة للناس، وتحتاج معالجة المنكر إلى الرفـق واللـين أولاً، فـإذا لم يفلـح هـذا السـبيل انتقل الإنسان – فى دائرة اختصاصه – إلى ما يستطيع به تغيـير المنكـر، دون أن يؤدى ذلك إلى منكر أسوأ، وفتنة لا تبقى ولا تذر..

وذات يوم قدم شـاب إلى النبـى ﷺ وقـال بـهدوء: يـا نبـى الله أتـأذن لى فـى الزنا؟!

فصاح الناس، وغضبوا لهذا السؤال الغريب وهذا الطلب الشاذ، وكادوا يفتكـون بهذا الشاب الغر الذى أراد أن يأخذ رخصة شرعية لفعل تلك الجريمة النكراء..

لكن الرسول ﷺ أشار إلى أصحابه بالتزام السكينة وأمر الشـاب بـالدنو والقـرب منه، فدنا الشاب حتى جلس بين يدى الرسول الكريم..

وبدأ الرسول ﷺ يشرح له القضية بأسلوب حكيم، هـين ليِّـن، فقـال للشـاب: أتحبه لأمك؟! أى هل ترضى أن تزنى أمك وتمارس الفاحشة؟، قال الشـاب: لا، جعلنى الله فداك. فقال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم.

ثم قال له: أتحبه لابنتك؟! قـال الشـاب: لا، جعلنـى الله فـداك، قـال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم..

ثم قال له: أتحبه لأختك؟! قـال الشاب: لا، جعلنـى الله فـداك، قـال ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم..

وتدرج معه الرسول الكريم فذكر العمة والخالة، ويقول الشاب فى كل واحـدة: لا، جعلنى الله فداك، ويقول له النبى ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه..

هنا أدرك الشاب عمق الجريمة التى يريد أن يستأذن فى ارتكابها، وعلم أن صوت الفطرة يأبى أن تُمارس هذه الفاحشة، ووصل بحكمة الرسول إلى ضرورة التزام القيم والأخلاق وصيانة الأعراض حتى لم يكن شىء أبغض إلى هذا الشاب من الزنا.

عندئذ وضع الرسول ﷺ يده على صدر الشاب وقال:

اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه..

الشهداء

الحق يحتاج إلى قوة تحميه، وترد كيد العدو، وفى هذه الحياة يعيش الناس فى صراع دائم بين الحق والباطل، وقد ينتصر الباطل فى لحظة عابرة من لحظات الزمن، ولكن الذى لا شك فيه أن دولة الباطل ساعة ودولة الحق والعدل إلى قيام الساعة..

وقد وعد الله تعالى إحدى الحسنيين، النصر فى الدنيا أو الشهادة والفوز بالجنة للذين يدافعون عن الحق بكل غال ونفيس، قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) ﴾

(التوبة / ٥٢)

وللشهادة فضل عظيم وثواب جزيل لا يعدله شىء، قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾.

(آل عمران / ١٦٩ : ١٧١)

والشهادة بمعنى القتل فى المعركة دفاعا عن الدين هو الذى استقر فى أذهان كثير من الناس، حتى إن رسول الله ﷺ سأل أصحابه يوما، فقال: ما تعدون الشهيد فيكم؟

قالوا: يا رسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد.

فأراد الرسول ﷺ أن يعلم الناس مراتب الشهداء ويبين لهم الجزاء الحسن الكبير الذى أعده الله تعالى لكل مسلم له موقف ثبات فى البأساء والضراء.

فحين سمع الرسول مقالة أصحابه قال لهم: إن شهداء أمتى – إذًا – لقليل.

فتعجب الصحابة وقالوا: فمن هم يا رسول الله؟

فبيّن لهم الرسول ﷺ أن قتيل المعركة شهيد وكذلك من مات فى سبيل الله فهو شهيد، حتى ولو لم يقتل بل مات ميتة طبيعية، فطالما توفرت له نية الجهاد، وزحف مقبلا غير مدبر ثم جاءه الموت فله أجر الشهيد، كما امتن الله بمنح ثواب الشهادة لكل من مات ميتة فيها شدة وألم، فمن أصيب بالطاعون فمات فهو شهيد، ومن أصيب بداء البطن من استسقاء وانتفاخ فمات فهو شهيد، ومن مات غريقا أو حريقا أو تحت هدم فهو شهيد..

إن الصحابة رضى الله عنهم فهموا أن ثواب الشهادة مقصور على قتيل المعركة وعندئذ قال النبى ﷺ: **من قتل فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد، ومن مات فى البطن فهو شهيد، والغريق شهيد.**

المجاهد المسلم

الحق يحتاج إلى قوة تؤازره، وتحفظ لأصحابه حرية القول والعمل في إطار القيم العليا..

وليس يعقل أن يكون أصحاب الحق في استخذاء وانكسار وذلة، فإن الحق من أسماء الله تعالى، فالله هو الحق، والمؤمن يستمد قوته من إيمانه بربه وخالقه ورازقه ومدبر الكون والكائنات..

وقد وعد الله — ووعده الحق — أن ينصر المؤمنين الصادقين، وأن يمكن لهم في الأرض حتى ينشروا الدين الصحيح، ويقيموا العدل، ويعيشوا عباد الله إخوانا..

لكن هذا الوعد الإلهي — لكي يناله المسلم — في حاجة إلى تضحيات جسام، وتحمل كبير، وبأساء وشدة، حتى يميز الله الخبيث من الطيب، وتظهر النفسيات على حقيقتها في قوتها وضعفها، في ثباتها وفرارها، في إقبالها وإدبارها، في انتصارها وهزيمتها..

وأبعد شيء عن المؤمن المجاهد هو خور العزيمة، وسوء القصد، وخسة الهدف.. ولهذا جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟

إن هذا الأعرابي أراد تحديدا لهدف المجاهد المسلم، وأراد أن يعرف همة هذا المجاهد، والغاية التي يرجوها من جهاده، لأن بعض الناس يتخذون من الحروب مغانم يسلبون بها خيرات الشعوب، ويستنزفون ثرواتها، وبعض الناس يتخذون من القتال مظهرا للتباهي بالقوة الغاشمة واكتساب الحديث عن شجاعتهم وبأسهم دون نظر إلى شرف القتال وكرامة الشجاعة وعزة البأس؛ وبعض الناس قد يقاتل حمية جاهلية وأنفة وتعصبا أعمى دون نظر إلى حق أو فضيلة أو عدل..

عندئذ قال النبي ﷺ:

من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله..

شهادة الناس

الإنسان يعيش فى مجتمعه ويتعامل مع بنى جنسه، وعلى قدر صلته بهم، وحسن تعاونه معهم، وصدقه فى الحديث، وأمانته على الأموال والأعراض - يكون حديث الناس عنه خيرا، فيتناقلون صفاته فى مجالسهم كمثل وقدوة، ويذكرون محاسنه إعزازا وإكبارا..

وحين يكون الأمر على العكس من ذلك، فيسيء المرء معاملة إخوانه، ويقطع تعاونه معهم، ويكذب فى الحديث، ويخون الأمانات - يذكره الناس بالسوء، ويحذرونه، ويتوجسون منه شرا..

وتلك عادة الناس فى كل زمان ومكان، وذات يوم كان الرسول ﷺ جالسًا مع أصحابه فمرت بهم جنازة، يعرفون صاحبها بالصلاح والتقوى وحسن المعاملة وأدب الحديث وكرم الأخلاق فأثنوا على هذا الميت خيرا وذكروا محاسنه، ولما رأى النبى ﷺ شهادتهم لهذا الميت قال: وجبت.. وجبت.. وجبت..

وبعد فترة مرت جنازة أخرى، ويبدو أن صاحبها لم يكن على المستوى الأخلاقى الرفيع كسابقه، وتذكر الناس سوء عشرته، ولعله كان من المنافقين أو المتظاهرين بالفسق والبدعة، فتكلم الناس عليه شرا..، ولما رأى النبى ﷺ شهادتهم على هذا الميت قال: وجبت.. وجبت.. وجبت..

وتعجب الصحابة رضى الله عنهم من مقالة رسول الله ﷺ فى الحالين: وجبت.. وجبت.. وجبت..، وتساءلوا فى أنفسهم يا ترى ماذا تعنى كلمة وجبت؟!

وتقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الرسول ﷺ وقال: فِدىً لك أبى وأمى، مُرّ بجنازة فأثنى عليها خيرا فقلت: وجبت، ومُرّ بجنازة فأثنى عليها شرا فقلت وجبت..

ونسى عمر بن الخطاب أن الناس ألسنة الحق، وأن الله تعالى يلهم الناس الثناء الحسن الجميل لمن عمل صالحا، والذم القبيح لمن أساء وفسد خلقه، عندئذ قال النبى ﷺ:

من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله فى الأرض.

التضحيات سبيل النصر

بدأ الإسلام غريبا ، وتحمل السابقون فى الإسلام البأساء والضراء وواجهوا مجتمعا بعقائده وتقاليده مواجهة لا تعرف الخور والضعف..

لقد واجه الرسول ﷺ قومه لأول مرة من فوق جبل الصفا فنادى عليهم وبلغهم رسالة ربه فإذا بعمه أبي لهب يتنكر للرحم وينكر الحق ويجاهر بالعداء ويقول لابن أخيه: تبًا لك سائر هذا اليوم..

وبينما الرسول ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة ابن أبى مُعَيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا حتى أقبل أبو بكر رضى الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟!

وفى أوائل صدر الدعوة دخلت أسرة بأجمعها فى دين الإسلام، وهى أسرة ياسر وزوجه سمية وولده عمار، وكان المشركون يخرجون بهذه الأسرة إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة إلى أن أصبحت سمية أول شهيدة فى الإسلام..

مع كآبة المنظر وقسوة الموقف كان صوت بلال بن رباح مرتفعا بكلمة التوحيد.. أحد.. أحد..

ولقد كان العهد المكى كله عناء ومعاناة، وشدة شديدة، وبأساء مؤلمة للمسلمين الأوائل..

لكن فى وسط هذا الجو القاتم، والأصنام المعبودة والطاغوت المستحكم تولد الآمال الكبار فى قلوب المسلمين المستضعفين، ويأتى أحد الصحابة وهو خبّاب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد ببردة، وهو فى ظل الكعبة، وقد لقى المسلمون من المشركين شدة فيقول: ألا تدعو الله لنا يا رسول الله؟

فهو يشكو إلى الرسول حال المسلمين ويرجوه أن يبتهل إلى الله عسى أن يفرج الكرب ويكشف الغمة ويزيل البلاء..

عندئذ قعد الرسول ﷺ وهو محمر وجهه فقال:

لقد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه.. ولكنكم تستعجلون.

تطور الحياة والفكر

حرص الصحابة على سؤال رسول الله ﷺ فى شئون حياتهم كلها، بل أرادوا أن يسبقوا الزمن فسألوا عن أمور تقع فى مستقبل أيامهم وطلبوا النصيحة حيالها..

يقول أحدهم وهو الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟! قال: نعم.

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتى، ويهدون بغير هديى، تعرف منهم وتنكر..

أى أن دوام الحال من المحال ، والحياة قائمة على تغيرات كثيرة، فقد كان الناس في الجاهلية يعبدون الأصنام ويأكلون الميتة ويئدون البنات ويقتتلون لأتفه الأسباب، ثم مَنّ الله عليهم بالإسلام وهداهم إلى القرآن وجمعهم على الهدى..

وهنا تساءل حذيفة رضى الله عنه: هل يأتى شر بعد ذلك الخير، فأخبره الرسول المصطفى أنه سيأتى على الناس زمان يقل ولاؤهم للدين، ويتضاءل تمسكهم بالشرع.. وسيعقب ذلك مرحلة تظهر فيها البدع والأهواء لكن الزمن لا يخلص للشر بل فيه معروف ومنكر..

فتساءل حذيفة: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقال حذيفة: صفهم لنا يا رسول الله، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

أى أنه سيأتى على الناس زمان يكون للفاحشة والجريمة أنصار يروجون لها، ويتواجد فى المجتمع دعاة الفتنة ورفاق السوء، وهم ليسوا غرباء عنا بل هم من مجتمعاتنا ويعيشون بيننا وينتسبون إلينا..

هنا طلب حذيفة نصيحة من رسول الله فى هذه المرحلة الحرجة من حياة المجتمع، فقال الرسول الكريم: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

عندئذ قال النبى ﷺ: **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك..**

هوان الدنيا

الدنيا قسمان؛ دنيا الشهوة والملذات والظلم والانحراف فهذه لا قيمة لها ولا وزن، ويبرأ منها العاقل ويهرب، ولا تستحق أن يعيشها إنسان، وفيها نزل قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ﴾ .

(آل عمران / ١٤).

وهناك دنيا الحق والعدل والكرامة، فتلك الدنيا هى زاد الآخرة، ومقدمة السعادة الأبدية، وهى التى يحرص المسلم ليعيشها مرضاة لله عز وجل، وفيها نزل قول الله تعالى:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾

(القصص / ٧٧).

وقد قسم الله تعالى الناس حيال الدنيا فريقين: فريقا جعلها أكبر همه ومبلغ علمه، وفريقا عاشها من أجل الدين، ورضى بها طريقا للآخرة، فقال:

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) ﴾.

(البقرة / ٢٠٠ ، ٢٠١)

وذات يوم دخل رسول الله ﷺ السوق والناس حوله، فمرّ بجدى أسك ميت، أى بجدى من الماعز صغير الأذنين، ضعيف البدن ثم هو ميت لم يعد يصلح لشيء، فأخذ الرسول ﷺ بأذن هذا الجدى الصغير الميت وقال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟!

أى من يريد أن يشترى هذا الجدى الميت بشيء يسير جدا وهو الدرهم، فقال الصحابة: ما نحب أنه لنا بشيء؟ وما نصنع به؟

فهم يرفضون شراءه مطلقا، فهو لا يساوى شيئا ولا قيمة له.

فقال ﷺ: أتحبون أنه لكم؟! يعنى أتحبون أن تأخذوه بلا مقابل، فقالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟!

أى أنهم أنفوا أن يكون هذا الجدى الصغير الميت لأحد منهم، ورفضوا أن يكون ملكا لهم، فهو صغير ميت، بل إنهم زادوا على ذلك وقالوا لو كان حيا ما يسرهم أن يأخذوه فهو صغير ضعيف..

ولقد كان هذا الحوار الطريف درسا بليغا لقنه الرسول الكريم لأصحابه والناس كافة، فإن الحياة الدنيا بملاذها وشهواتها صغار يأنف منه العقلاء ويرفضه الشرفاء..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم..

وقت الفتنـة.

شأن المجتمع الصـالح أن يتعـاون أفـراده علـى الـبر والتقـوى، وأن يتنـاصحوا بالخير والمعروف، وبهذا تسـير قافلـة الحيـاة فـى أمـن وأمـان، ويستشـعر النـاس الطمأنينة والاستقرار، ويعيشون عباد الله إخوانا..

قال الله تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾.

(التوبة / ٧١)

فإذا خرج الناس عن إطار المنهج الإلهـى، وتصـارعوا، وغلبـت عليـهم الأهـواء وعاشوا فتنا تقضى على الأخضر واليـابس، وتدمـر كـل شـىء – فالعـاقل هـو مـن يتجنب هذه الفتن كافة ولا يشارك فيها مطلقا..

وتتوزع الجريمة على المشاركين فى الفتن حسب درجـة اشـتراكهم، ويلاحقـهم العدل الإلهى فى الدنيا والآخرة..

وقد حذر الرسول ﷺ من **الفتن** فقال:

إنـها سـتكون فـتن، القـاعد فيـها خـير مـن **الماشـى**، والماشـى فيـها خـير مـن الساعى..

ثم نصح الرسول الناس كيف يصنعون فى **الفتن** فقال:

ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحـق بإبلـه، ومـن كـانت لـه غنـم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه.

يعنى أن العاقل ينصرف عن أن يشارك فى الفتن أدنى مشاركة، وينكب على عمله أيا كان وفى أى موقع، ويدع هؤلاء المشاركين فى الفتنة حتى يحكم الله بينهم طالما أنهم لم يستجيبوا لنصح ولم يستمعوا لرأى ولم يكفوا عن الصراع، ولا قوة لنا على فرض الصلح..

وهنا سأل رجل وقال: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض.. يعنى ماذا يفعل؟

فأكد له الرسول الموقف السابق ونصحه بعدم الدخول فى غيابة الفتنة، وأمره بالنجاة فى أى اتجاه آخر مع إلقاء السلاح والتخلص منه حتى لا تحدثه نفسه بالمشاركة فى صراع الفتنة.. وقال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء..

وتوجه الرسول بالدعاء الضارع قائلا: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت.. فقام رجل آخر وسأل لو أنه أجبر على المشاركة مع أحد الفريقين المتصارعين وقال: أرأيت إن أكرهت حتى يُنطلق بى إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربنى رجل بسيفه أو يجىء سهم فيقتلنى.

عندئذ قال النبى ﷺ : **يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار.**

الفصل الثانى

فى القيم

- الإسلام امتداد لمسيرة الخير
- الإسلام طهارة لما مضى
- عزة النفس أولا
- الإنسان بين الكبر والجمال
- التسابق إلى الخير
- هجرة المسلم الدائمة
- عمل الخير يعدل الهجرة
- الحياة ساعة وساعة
- استيقاظ الضمير
- الندم توبة
- الاقتصاد فى الطعام والشراب
- الحياة ضراء وسراء
- أمانة المسئولية
- لا طاعة فى المعصية
- لا استثناء فى تطبيق الحدود
- كتمان أسرار المجتمع
- من أدب المجلس
- آداب الطعام
- إيثار الضيف
- النهى عن الغيبة
- النهى عن التعصب
- اليمين الفاجرة
- اليمين لا تمنع من خير
- قدسية حقوق الجار
- مداراة الناس
- موقف نبيل
- حق الطريق
- من أبواب الخير
- الحرص على مجالس العلم
- التنزه عن سوء الظن
- القسم
- حسن الخاتمة
- العبرة بالخواتيم

الإسلام امتداد لمسيرة الخير

الإسلام دين الله الخاتم، جاء به محمد ﷺ يحثنا على الخير، ويأمرنا بالمعروف ويأخذ بأيدينا إلى الرشد ويدفعنا إلى الفضيلة، فى إطار عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين..

وحين يقبل الناس على الإسلام فإنهم يعودون إلى الفطرة السوية التى خلقهم الله عليها فشوهوها بأفعالهم القبيحة وعقائدهم الباطلة.. قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الروم/٣٠)

وهناك أناس لديهم فعل الخيرات، ولهم نشاط طيب فى نصرة المظلوم ورعاية المحتاجين، فإذا أسلم هؤلاء وصححوا عقيدتهم، ورضوا بالله ربا، وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما، واستمروا على ما كانوا عليه من طيبات السلوك والأعمال — ضاعف الله لهم الثواب ومنحهم الأجر الجزيل، وحصلوا على ثواب ما قدموه قبل الإسلام.. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.. وأساس قبول العمل الصالح هو الإيمان، وبغير الإيمان تضيع الأعمال سدى، فإذا أسلم الإنسان وآمن صحت الأعمال كلها قديمها وحديثها وحظى برضوان الله الأكبر..

وقد تساءل الصحابة مع رسول الله ﷺ عن أعمال للخير كانوا يفعلونها فى الجاهلية، ما مصيرها عند الله عز وجل بعد أن أسلموا لله رب العالمين؟ ومن هؤلاء الصحابة الذين تساءلوا — حكيم بن حزام، وكان رجلا عظيما قبل الإسلام، ولد فى الكعبة وعاش ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الإسلام، وأسلم عام

فتح مكة، ومات بالمدينة المنورة، وأعتق فى الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير، أى تصدق بها جميعا.. لقد سأل حكيم بن حزام وقال:

يا رسول الله أرأيت أمورا كنت أتحنث بها فى الجاهلية، هل لى فيها من شىء؟ والتحنث التعبد والمراد بقوله «من شىء» أى من أجر.. وقد جاء توضيح هذا المعنى فى رواية أخرى حين قال:

يا رسول الله أرأيت أمورا كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟

إن حكيم بن حزام أسلم وواصل مسيرة عطائه الإنسانى، وحرص على ثواب الله وفضله فى الدار الآخرة حتى يحظى بالفردوس الأعلى والنعيم المقيم.

إنه سأل عن أفعال الخير التى عملها قبل الإسلام.

وعندئذ قال النبى ﷺ: **أسلمت على ما أسلفت من خير.**

الإسلام طهارة لما مضى

عاش الناس قبل الإسلام فى جهالة وضلالة، يعبدون الأصنام، ويأكل قويهم ضعيفهم، ويسيئون الجوار، ويقطعون الرحم..

فلما جاء الإسلام قاد البشرية إلى توحيد الله عز وجل، ومكارم الأخلاق وطيبات السلوك، قال الله تعالى:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾.

(آل عمران / ١٦٤)

والإسلام يقبل التائبين، ويعيد إليهم طمأنينتهم، ويرفع عنهم الأغلال، ويمنحهم سعادة النفس وانشراح الصدر وهدوء الضمير.. قال الله تعالى:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

(الزمر / ٥٣ - ٥٤)

والإسلام يريد رجالا مخلصين، يقبلون عليه باقتناع عقلى، ورضا نفسى، ويقين كامل بأنه الحق وما سواه باطل، وبأنه النور وما سواه ظلام، وبأنه الهدى وما سواه ضلال، وبأنه الحياة وبدونه يتحقق الموت..

وعلى عهد رسول الله ﷺ دخل الناس فى ديـن الله أفواجـا، ونعمـوا بالإسـلام دينا، ولكـن كـانت تؤرقـهم أفعـالهم القديمـة التـى أفسـدوا بـها وظلمـوا أنفسـهم وأهليهم.. وتساءل الناس عن موقفهم من سيئاتهم السابقة وتوجسوا من عقـاب الله تعالى..

فقال ناس: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا فى الجاهلية..

وجاء ناس من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، وقالوا: يـا رسـول الله إن الذى تقول وتدعو لحسن، ولو تخبرنا أن لما عملنا كفارة..

وعندما جاء عمرو بن العاص ليعلن إسلامه وقال: يـا رسـول الله ابسـط يمينـك فلأبايعك، فبسط الرسول يمينه، فقبض عمرو يده، فتعجب النبى ﷺ وقال: مالك يا عمرو؟ فأجاب عمرو قائلا: أردت أن أشترط، قال النبى ﷺ: تشترط بماذا؟

قال عمرو: أن يُغفر لى..

أمام هذه النوايا الصادقة والعزيمة الصحيحة والتوبة النصوح فإن الله تعالى يغفر لهم ما قد سلف، بل ويبدل سيئاتهم حسنات..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تـهدم مـا كـان قبلـها، وأن الحج يهدم ما كان قبله..

وفى رواية: **من أحسن فى الإسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية، ومن أساء فى الإسلام أخذ بالأول والآخر.**

عزة النفس أولاً

قد يجد الإنسان نفسه مضطرا لأن يسأل شيئا من صديق أو زميل أو رئيس، وهذا الاضطرار لا ينبغى أن يضيع معه ماء الوجه ويذهب معه الحياء، فلا قيمة للحياة مع الذل، ولا سعادة فى الدنيا مع ضياع الكرامة..

ويوجد بعض الناس يتخذون من التسول حرفة ويجيدون التصنع أمام الرؤساء، وفى الطرقات، ويمدون أيديهم لحاجة وغير حاجة، وهذا منتهى السفه والضياع والصغار..

وقد علم الرسول ﷺ أصحابه أن يكونوا أعزة لا يسألون الناس شيئا، فالمسلم الحق يحرص على العفاف ويباشر الأسباب ويدع العواقب لله أحكم الحاكمين.

وحين كان الناس يسألون الرسول ﷺ عطاء فلا يردهم وكان يمنحهم منحا كثيرة، ويعطى عطاء من لا يخش الفقر..

ويحدثنا أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فيقول: إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده..

فالرسول باعتباره الحاكم وولى أمر المسلمين تلتقى عنده الصدقات والأموال العامة للدولة فينفقها فى أبوابها، ويعطى المسلمين حقهم فى مال الدولة، فالناس أمانة فى أعناق حكامهم..

وهؤلاء النفر من الأنصار سألوا الرسول أموالاً فأعطاهم، فلم يقنعوا وسألوا المزيد فأعطاهم حتى نفد المال الذى تجمع فى هذه اللحظة أمام الرسول لتوزيعه..

ولما وجدهم مازالوا حريصين ولديهم إلحاح فى السؤال نصحهم الرسولﷺ نصيحة جامعة، فالرسول لن يدخر شيئا من المال لنفسه، ولن يمنع المال من أن يصل إلى مستحقه، فهو ﷺ حريص على المؤمنين، ويشق عليه حالهم، ويرفق بهم أكثر من رفق الوالدين بأبنائهما..

وشأن المسلم أن يبقى على عزة نفسه، وأن يغالب هـواه، وأن يقنـع بمـا يسـره الله له حتى يعيش منشرح الصدر سعيدا..

لقد ألح بعض الأنصار فى السؤال، وعندئذ قال النبى ﷺ:

ما يكن عندى من خـير فلـن أدخـره عنكـم، ومـن يسـتعفف يعفـه الله، ومـن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أعطى أحد من عطـاء خـيرا وأوسـع من الصبر..

الإنسان بين الكبر والجمال

الإنسان مخلوق كرمه الله تعالى بدينه وعقله وإن كان ضعيف الجسم قليل التحمل، فليس الإنسان يطاول الجبال الشوامخ أو السموات العلا، وليس يقوى الإنسان أمام الحيوان المفترس..

لكن الإنسان تكمن قوته فى عقله، وتكمن كرامته فى دينه، ويعز جنابه بأخلاقه، قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

(سورة الإسراء/٣٧)

وبنو الإنسان جميعا متساوون فى أصل الخلقة، وجعل الله اختلاف ألوانهم وأجناسهم آية من آيات القدرة الإلهية المبدعة، قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

(سورة الحجرات/ ١٣)

وقد كانت توجيهات رسول الله ﷺ فى هذا الجانب قوية بناءة، تعد أحيانا بالثواب الجزيل للمتواضعين الذين يألفون ويؤلفون، ويتميزون بالأخلاق الحسنة، وتتوعد أحيانا أخرى بالعذاب الشديد للمتكبرين الذين ينفر الناس منهم لغلظ قلوبهم وقسوة فعالهم.. ومن ذلك قول رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» وهذا الوعيد الشديد لأن الكبر يتولد من الشعور بالاستعلاء على الناس وازدرائهم، وهذا الشعور — بلا ريب — شعور خادع بعيد

عن الواقع، ينبئ أن صاحبه غير طبيعي في سلوكه وتفكيره، وغير سوى في تصرفاته، مما قد يدفعه إلى ظلم الآخرين والاعتداء على حرماتهم وغصب ما في أيديهم وانتهاك أعراضهم..

ولهذا كان الوعيد شديدا بحرمانه من الجنة التي هي الأمل الأكبر والفوز الحقيقي الذي يحرص عليه كل مسلم صادق الإيمان..

لكن أحد الصحابة قام متسائلا، وأثار سؤالا وجيها، قال: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟!، لقد توهم السائل أن الكبر قد يشمل الإنسان الذي يحرص على نظافة ثيابه وجمال هندامه، وخشي الرجل أن يدخل مثل هذا الشخص الجميل في عداد المتكبرين.

وإذا برسول الله ﷺ يعلمه أدبا عاليا، وخلقا ساميا فإن الجمال مطلوب شرعا، والعبادة في الإسلام تسبقها الطهارة من الاستنجاء والوضوء أو الغسل، ويستحب لها الطيب والسواك، وهذا الجمال شيء آخر غير الكبر، فإن الكبر هو الإعراض عن الحق والتجافي عن القيم واحتقار الناس..

عندئذ قال النبي ﷺ:

إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس.

التسابق إلى الخير

المسلمون تلتقى قلوبهم على الخير، وتتساند قواهم على البر، ويتسابقون إلى المعروف، ويحرصون على أن يعيشوا عباد الله إخوانا..

وقد كان المسلمون السابقون فى صدر الإسلام يدا واحدة، وقلبا واحدا، يتقاسمون أموالهم بطيب نفس وإيثار وحب.. ولم تحملهم على ذلك عقوبة مادية ولا حراسة بشرية، وإنما دفعهم لذلك إيمانهم وتقواهم، لقد كانوا أشد حبا لله ورسوله..

ومن مواقف الخير والبر والمعروف على عهد رسول الله ﷺ أن قوما حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء (مهلهلة)، عامتهم أو كلهم من قبيلة مضر.. جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فلما رآهم تمعر وجهه الشريف (تغير) لما رأى بهم من الفاقة، فدخل وخرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام للصلاة، ثم خطب فقال:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

(سورة النساء – الآية ١)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(سورة الحشر – الآية ١٨)

وقد قرأ الرسول ﷺ هاتين الآيتين لأنهما أبلغ فى الحث على الصدقة لما فى الآية الأولى من تأكيد الحق لكونهم إخوة، ولما ترشد إليه الآية الثانية من ضرورة

اليقظة والاستعداد للقاء الله عز وجل، تلك اليقظة التى تجعل المسلم يتجافى عن الدنيا ولا يغتر بزخرفها..

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره.. حتى قال: ولو بشق تمرة..

فالرسول الكريم هنا يدفعهم إلى أن يجود كل إنسان بما عنده، قلّ أو كثر، فالمدار على حسن النية والمشاركة الطيبة..

وقد استجاب المسلمون استجابة فورية، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، وكان هذا الرجل فاتحة الذين أقدموا على التبرعات، وتتابع الناس بعد ذلك يشاركون فى المساعدات حتى اجتمع لدى رسول الله ﷺ كومان من طعام وثياب..

فتهلل وجه الرسول الكريم واستنار فرحا وسرورا، لما رأى من سرعة الاستجابة والشفقة بين المسلمين وتعاونهم وبذل الأموال فى سبيل الله..

ولا ننسى أن البادئ هو الأفضل وأن من فتح باب التبرعات أكثر ثوابا ممن أتى بعده..

عندئذ قال النبى ﷺ:

من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء..

هجرة المسلم الدائمة

بعث الله محمدا ﷺ على حين فترة من الرسل وانقطاع من الوحى، وجهالة وضلال مبين، فدعا إلى التوحيد والفضيلة والقيم.. ومكث فى مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة ينوع أساليب الدعوة، ويتحمل البأساء والشدة، ويعانى المسلمون من الإيذاء والبطش، إلى أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة، فبدأ عهد جديد للدعوة الإسلامية، ووقعت بين المشركين والمسلمين عدة معارك حربية، انتهت بهزيمة الشرك والشر وانتصار التوحيد والإسلام..

وفى العام الثامن للهجرة تم فتح مكة، وعاد المهاجرون إلى موطنهم الأول وأصبحت مكة والكعبة فى حمى المسلمين، ولم تعد مكة دار شرك، وتحولت إلى دار للإسلام والمسلمين..

ومن هنا انتهت الهجرة التى كانت واجبة على المسلمين، وأصبح المسلم يعبد الله بلا خوف فى أى مكان..

وفى يوم الفتح جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة.. فقال النبى الكريم: إن الهجرة قد مضت لأصحابها، أى أن الوقت الذى كانت فيه الهجرة واجبة قد انتهى وانقطع بفتح مكة، وأصبح الإسلام قويا عزيزا..

لكن هناك هجرة من نوع آخر لا تنتهى، وتلازم المسلم فى كل زمان ومكان، إنها هجرة تحقق معنى قوله تعالى:

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

(سورة الذاريات /٥٠)

إنها هجرة بالقلب من الشرك والضغينة والحقد والحسد إلى نور التوحيد وصفاء القيم..

إنها هجرة بالعقل من أفكار السوء والهدم والتدمير إلى فكر راشد بناء..

إنها هجرة بالجوارح من قبيح الفعال وسيء الخصال وسوء الأعمال إلى طهارة السلوك وفعل الخير والبر والمعروف..

إنها هجرة بالحياة كلها إلى مناهج الدين ومقاصد الشريعة وحقائق الوحى.

إنها جهاد لحماية العقيدة والدفاع عن المقدسات والذود عن الأعراض والأموال..

وتلك هى الهجرة الدائمة التى لا تنقطع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الرجل جاء يسأل عن الهجرة، عندئذ قال النبى ﷺ:

لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا.

وفى رواية:

إن الهجرة قد مضت لأهلها ولكن على الإسلام والجهاد والخير..

عمل الخير يعدل الهجرة

الإسلام حريص على أن يؤدى كل مسلم عمله المنوط به على خير وجه لينفع به نفسه وأمته، ويستطيع المسلم أن يكسب حلالا طيبا فى كل مكان من أرض الله الواسعة، وليس شرطا أن يقيم فى بقعة خاصة حتى ولو كانت مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وليس معقولا أن يتوافد الناس جميعا ليقيموا حول الكعبة المشرفة أو حول المسجد النبوى الشريف..

قال الله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

(الملك / ١٥)

ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر فى صدر الإسلام كانت الهجرة واجبة من أرض الشرك إلى أرض الإسلام فى المدينة المنورة حتى يحفظوا دينهم ويصونوا عرضهم وحرماتهم، فلما فتح الله مكة على المسلمين فى العام الثامن للهجرة ودخل الناس فى دين الله أفواجا — لم تعد الهجرة مطلوبة فى حد ذاتها، وإنما يعبد المسلم ربه فى كل مكان، ويسعى بالخير للناس جميعا..

ولقد سئل رسول الله ﷺ كثيرا عن الهجرة فأفتى بأنه لا هجرة بعد فتح مكة، وجاء أعرابى من البادية يريد أن يترك موقعه وأهله، ويسكن المدينة المنورة، فسأله رسول الله ﷺ وناقشه ونصحه ودار حوار هكذا:

سأل الأعرابى رسول الله ﷺ عن الهجرة.

فقال الرسول الكريم: ويحك إن شأن الهجرة لشديد..

أى أن الهجرة شاقة بالنسبة لكْ حيث إنك مرتبط بوطن وأهل ويشق عليك مفارقتهم، ولك ظروف وأحوال ألفتها فى معاشك يصعب عليك تغييرها.

ثم سأله الرسول ﷺ: فهل لك من إبل؟ قال الرجل: نعم، أى أن الرجل يملك ثروة من الإبل التى يرعاها ويستثمرها..

ثم سأله الرسول ﷺ: فهل تؤتى صدقتها؟ قال الرجل: نعم..

لقد سأله الرسول الكريم عن شكر النعمة فإن الثروة نعمة سواء كانت من الإبل أو من العقارات أو الزروع والثمار أو من الأموال السائلة..

وشكر النعمة يكون بإخراج الزكاة والصدقات لذوى الحاجات، ويمتد النفع بهذه النعمة إلى الآخرين..

فلما أجاب الرجل بالإيجاب أوصاه الرسول ﷺ بملازمة هذا العمل ومداومة هذه الصدقات فإن الله يحب عباده العاملين المتصدقين..

وعندئذ قال النبى ﷺ: **فاعمل من وراء البحار (أى القرى) فإن الله لن يترك (ينقص) من عملك شيئا.**

الحياة ساعة وساعة

خلق الله تعالى الإنسان مادة وروحا، وجعل حياته قائمة على ما يصلح البدن ويقوى الروح..

والإسلام يجمع بين الدين والدنيا، ولا رهبانية فى الإسلام، والدعاء المفضل للصالحين هو قول الله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) ﴾

(البقرة / ٢٠١)

والإسلام لا يحرم طيبات الحياة، وإنما يمنع من الحرام والإسراف، فالإنسان مطالب بالعمل والسعى فى حدود ما شرع الله، فإذا جمع المال اقتصد فى نفقاته، فلا يبخل على نفسه وأهله ولا يسرف تحقيقا لقول الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧)﴾

(الفرقان / ٦٧)

وذات يوم قال أحد الصحابة وهو حنظلة الأسيدى وكان من كتاب الوحى: لقينى أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، أى أصبح منافقا لا يستقر على حال، فقال أبو بكر: سبحان الله ما تقول؟! لقد تعجب أبو بكر الصديق من جواب حنظلة واستفسر عن سر هذا الجواب.

فقال حنظلة: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا نراها رأى العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (أى انشغلنا) الأزواج والأولاد والضيعات (الأموال) فنسينا كثيرا..

إن حنظلة هنا يقارن بين موقفين: الموقف الأول حين يلتقي برسول الله ﷺ ويسمع مواعظه ووصفه للجنة ونعيمها والنار وعذابها فتقشعر الجلود، وتخشع القلوب، وتبكي العيون، وتصفو الأرواح وتتجلى أنوار الله على الإنسان..

الموقف الثانى عندما ينتهي اللقاء برسول الله ﷺ، ويذهب حنظلة إلى البيت ويجالس زوجه وأولاده ويبحث شئون أمواله، فيضحك ويلعب ويلهو، ويكون على حال أخرى لا تناسب الحال الأولى..

لقد ظن حنظلة أن المفارقة بين الموقفين تعد نفاقا، وطالما أنه لم يستمر على الحال الأولى فى صفائها فقد أذنب ذنبا عظيما..

لقد أرق هذا الموقف حنظلة وأراد أن يستفسر ويستفتي رسول الله ﷺ فخرج فلقيه فى الطريق أبو بكر، ولما ذكر ذلك قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، وانطلقا معًا حتى دخلا على رسول الله، فتكلم حنظلة وتكلم أبو بكر رضى الله عنهما فطمأنهما الرسول ﷺ وبين لهما أن الحياة لا تستمر على وتيرة واحدة، ولا تبقى على حال معين، والحياة ساعة جد وساعة مرح، وساعة للدنيا وساعة للآخرة، وساعة للعمل وساعة للراحة، وهكذا ولو استمر الإنسان فى ساعة صفائه الروحى ولم يتحول عنها لوصل إلى مرتبة عليا تجعله أهلا لمصافحة الملائكة ورؤيتهم رأى العين ولكن طبيعة الإنسان غير هذا، فعليه أن يمارس حياته فى حدود ما شرع الله بلا غلو ولا تفريط..

إن حنظلة وأبا بكر رضى الله عنهما ذهبا إلى رسول الله مهمومين محزونين، وعندئذ قال النبى ﷺ:

يا حنظلة ساعة وساعة، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق.

وفى رواية:

والذى نفسى بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات.

استيقاظ الضمير

طبيعة الإنسان أنه قد يخطئ، لكن الاستمرار على الخطأ خطيئة أخرى، والعاقل هو من ينتشل نفسه من وهدتها، ويصلح ما وقع فيه، ويتجاوز خطيئته إلى عمل صالح وتوبة نصوح..

وإذا كان القانون - أيا كان مصدره - قد جعل لجرائم الإنسان عقوبات تلاحقه ردعًا عن الجريمة ومنعا من انتشارها، فإن عدل الله عز جل قد شرع الحدود لجرائم القتل والزنا والسرقة وغيرها زواجر وجوابر، فهى تزجر عن ارتكاب المعصية، وتجبر الذنب وتطهر الإنسان من جريمته وتمنحه توبة يستقيم بعدها على الطاعة ويلتزم بالصراط المستقيم..

وذات يوم جاءت المرأة الغامدية ووقفت أمام رسول الله ﷺ وقالت بلسان الندم والحسرة: يا رسول الله إنى قد زنيت فطهرنى.. تريد أن يقيم عليها حد الزنا وهو الرجم حتى الموت لأنها كانت امرأة محصنة أى متزوجة، واستيقظ ضميرها بعد ارتكابها للفاحشة، واعتقدت أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة..

لكن رسول الله ردها ولم يلتفت إليها لاحتمال أن تكون فى غير وعيها أو لا تعرف حقيقة الزنا الموجب للحد، فلعلها وقعت فى مقدمات الزنا ولم تمارسه..

ورجعت المرأة ثم جاءت فى اليوم التالى وقالت: يا رسول الله لم تردنى فوالله إنى حبلى..

لقد ارتكبت هذه المرأة جريمة الزنا وحملت سفاحا وأصرت على تطهير بدنها، فقال لها رسول الله: إما لا فاذهبى حتى تلدى.

يعنى طالما أنت قد أبيت أن تسترى على نفسك وتتوبى وترجعى عن قولك فلا يمكن إقامة الحد عليك وأنت حبلى، فما ذنب الجنين، فنصحها رسول الله أن تنتظر حتى تلد ثم تأتى..

فلما أتمت حملها ووضعت جاءت بالصبى فى خرقة وقالت: هـذا قـد ولدتـه.. فاستعجلت المرأة إقامة الحد عليها تطهيرا لبدنها، وتوبة عـن جريمتـها، وإيثـارا لمغفرة الله عز وجل وطمعا فى رحمته سبحانه فى الآخرة..

ولم يكن لدى رسول الله بوليس آداب يتعقب مثل هذه الحالات، لكنه الإيمـان يفعل المعجزات.

ونظر رسول الله ﷺ إلى الوليد فخشى عليه من فراق أمه فنصحـها مـرة أخـرى بـأن ترجـع لـترضع وليدهـا حتـى يسـتقل عنـها وقـال: اذهبـى فأرضعيـه حتـى تفطميه..

فلما أتم الوليد زمان الرضاعة وفطمته أتت بالصبى فى يده كسرة خبز وقـالت: هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام..

فلم يكن بد أمام رسول الله إلا أن يدفع بالصبى إلى رجل من المسلمين يتكفل به ويرعاه، ثم أمر بالمرأة فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها..

وأثناء الرجم أقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فسال الـدم وتطـاير علـى وجه خالد، فاستشاط غضبا وسب المرأة، فسمع نبى الله سب خـالد لهـا فغضـب وقال: مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبـة لـو تابـها صـاحب مكس لغفر له».

إن هذه المرأة قد استيقظ ضميرها فـأقبلت باختيارهـا الحـر وتقبلـت إقامـة حـد الرجم عليها حتى تلقى الله طاهرة مطهرة.. هذه التوبة النصـوح هـى أعلـى أنـواع التوبة وهى تغسل أعلى أنواع الذنوب كالمكس وهو أخذ أموال النـاس بغـير حقـها وصرفها فى غير وجهها..

وعقب وفاة هذه المرأة قام المسلمون بتغسيلها والصلاة عليها وتقدم الرسـول ﷺ وأمَّ المسلمين فى صلاة الجنازة..

وتعجب عمر بن الخطاب وقال: تصلى عليها يا نبى الله وقد زنت.

عندئذ قال النبى ﷺ:

لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجـدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى.

الندم توبة

الإنسان يخطئ ويصيب، والمطلوب منه هو أن يغالب هواه ويحرص على الاستقامة، فإن زل أو أخطأ فلا يقيم على الخطأ، بل يندم ويبكى على خطيئته، ويجدد العهد أمام الله تعالى ويكثر من العمل الصالح..

ولقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس بين أصحابه فى المسجد، فقال الرجل: إنى أصبت حدا..

وفى رواية: إنى عالجت امرأة فى أقصى المدينة، وإنى أصبت منها ما دون أن أمسها.. أى أنه استمتع بها بالقبلة أو المس باليد دون أن يزنى بها..

ووقف الرجل أمام رسول الله معترفا بالخطأ، نادما على ما فعل، يسأل الكفارة وقال: فأنا هذا فاقض فىّ ما شئت.

فقال له عمر بن الخطاب: لقد سترك الله، لو سترت على نفسك..

لقد أراد عمر أن يخفى الرجل فعلته طالما أن الله قد ستره، فلا يفضح نفسه، وليس فيها ما يتعلق بحقوق العباد.. فهى موقف شخصى انتهى، وعليه أن يلتزم بالاستغفار، ويجدد التوبة، فهذا يكفى..

لكن الرجل أراد أن يستوثق من رسول الله ﷺ، ورأى الرجل أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، ثم هو يقدم درسا يتناقله الناس عن رسول الله.. ولما عرض الرجل موقفه سكت رسول الله حتى أقيمت الصلاة، وصلى المسلمون جماعة خلف المصطفى الكريم..

وعقب الانتهاء من الصلاة قام الرجل وأعاد قصته على مسمع رسول الله، وهنا تلى الرسول الكريم قول الله تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

(سورة هود - ١١٤)

ثم وضح له الموقف قائلا: أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء؟ قال الرجل: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: ثم شهدت معنا الصلاة؟ قال الرجل: نعم يا رسول الله.

والمعنى أن الرجل تطهر وصلى ، والذنوب تتساقط مع قطرات الماء، والعمل الصالح يمحو السيئات..

وحين اطمأن الرسول إلى صدق الرجل قال له: فإن الله قد غفر لك حدك أو ذنبك..

وتساءل الصحابة: يا نبى الله هذا له خاصة؟ يعنى هل هذا الحكم خاص بهذا الرجل وحده؟..

عندئذ قال النبى ﷺ: **بل للناس كافة.**

الاقتصاد فى الطعام والشراب

الإنسان فى حاجة إلى الطعام والشراب ليحافظ على بناء جسـمه، لكـن بنـاء الجسم ليس هدفا فى حد ذاته، وإنما الجسم القوى يستعان به على قضاء المصالح الخاصة والعامة، وعلى العبادة لله تعالى وحسن المعاملة مع خلق الله..

والمسلم ليس شرهًا على مأكول أو مشروب، وإنما هو يقتصد فى مأكلـه ومشـربه حتى لا يصاب بالتخمة وما ينجم عنها من أمراض.. فـإن هـدى رسـول الله ﷺ أن يكون ثلث البطن للطعام وثلث للشراب وثلث للهواء..

وذات يوم دخل ضيف على رسول الله ﷺ ، وكان هذا الضيف كافرا، فأكرمه الرسول وعمل على راحته فأمر لهذا الضيف بشاة فحلبت فشرب الضيف حلابـها ثم أمر بشاة أخرى فشرب حلابها ثم أمر بشاة أخرى فشرب الرجل حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه..

لقد كان هذا الضيف الكافر نهما أكولاً يشاركه الشيطان طعامه وشرابه، لأنه لا يعرف البدء باسم الله قبل الأكل، ولا يعرف الحمد لله بعده..

ثم إن الكافر حريص على الحيـاة الماديـة، وأقصـى آمالـه تنحصـر فـى المـآكل والمشارب والشهوات ، وليس عنده ما يسمو به أو يتسامى به عليها.. ثـم حدثـت المفاجأة، لقد أسلم هــذا الضيـف فـى صبـاح اليـوم التـالى لمـا رآه مـن كـرم الخلـق المحمدى وحسن الضيافة وشرف الحديث وأمانة الكلمة..

فلما أمر الرسول ﷺ فى هذا الصباح بحلب شـاة لهـذا الضيـف شـرب الرجـل حلابها فأمر الرسول بحلب شاة أخرى فلم يستطع الرجل إكمال شرب لبن الشـاة الثانية واكتفى بشاة واحدة..

وعندئذ قال الرسول

لقد اتسع صدر الرجل للإيمان وانشرح للإسلام فلم يعد له شره فى المآكل والمشارب وأصبح يبدأ باسم الله وينتهى بالحمد لله، فلم يعد للشيطان سبيل عليه..

وتحولت الهمة من دناءتها إلى عليائها، وأصبح للرجل آمال فى الباقيات الصالحات.. وتحول العقل من ضيق المادة إلى آفاق الملأ الأعلى، وامتلأ القلب نورا وهداية.. عندئذ قال النبى ﷺ:

المؤمن يشرب فى مِعًى واحد ، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء..

الحياة ضراء وسراء

يمنح الله تعالى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، والمال فى حد ذاتـه ليس دليـل كرامة، وإنما كرامة المرء فى دينـه وخلقـه، فمـن تمسك بـالأخلاق وعمـل بـالدين وعاش للفضيلة فهو السعيد الكريم فى الدنيا والآخرة، قل ماله أو كثر، ومـن نـأى عن الأخلاق وجهل الدين وتمرد على الفضيلة فهو الحقير المهين مهما كـان جاهـه ومهما كثر ماله..

ولو كانت الدنيا جزاء لمحسن أو ثوابـا لمؤمـن لكـان أحـق بـها الأنبيـاء عليـهم الصلاة والسلام، ولكن الأنبياء عاشوا على الكفاف وتحملوا البأسـاء وضـاق عليـهم العيش ومع ذلك فهم القدوة الحسنة والمثل الأعلى والإنسان الكامل..

وذات يوم خرج رسول الله ﷺ من بيته فـإذا هـو بـأبى بكـر وعمـر رضـى الله عنهما والتقى بهما الرسول على غير موعد، واجتمعوا فى غير مناسبة، وفى ساعة لم يكن معتادا فيها الخروج..

فسألهما الرسول: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟

قالوا: الجوع يا رسول الله، فقـال ﷺ : وأنـا والـذى نفسـى بيـده لأخرجنـى الذى أخرجكما..

أى أن الرسول وصاحبيه خرجوا من بيوتهم التماسا لطعام بعد أن اشـتد عليـهم الجوع وليس فى بيوتهم ما يأكلون منه أو يشربون..

ودعا الرسول صاحبيه إلى الذهاب معه إلى بيت رجل من الأنصار عنـده سـعة، فطرق عليه الباب فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته زوجة الأنصارى قالت: مرحبا وأهلا، فقال لها رسول الله: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من المـاء (يـأتى بماء عذب).

وأثناء الحديث جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى..

لقد استبشر الرجل وفرح وحمد الله على أن منحه هذه الزيارة من الرسول الكريم وصاحبيه وعدها تشريفا من الرسول له ولأهل بيته.. وانطلق الرجل فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا من هذه، أى أن الرجل سارع بتقديم غصن من النخل يجمع هذه الأنواع من البلح مبادرة منه إلى إكرام ضيفه حتى يعد لهم الطعام وأخذ الرجل المدية ليذبح لهم شاة، فقال له الرسول: إياك والحلوب، أى لا تذبح شاة ذات لبن فإن اللبن ينتفع به، فذبح الرجل شاة أخرى وقدم الطعام فأكل الرسول وصاحباه من الشاة ومن البلح وشربوا حتى شبعوا ورووا..

عندئذ قال النبى ﷺ لأبى بكر وعمر:

والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم..

أمانة المسئولية

من تقلد أمرًا من أمور المسلمين فهو خادمهم فى ذلك الأمر حتى يحسنه ويتمه على أكمل وجه، وليست المناصب لجمع ثروة أو للسيطرة، فإن الله تعالى سائل كل إنسان عما استرعاه.

ولكن بعض الناس يتخذ من موقعه فى السلطة مغنما، ويتبارى الناس فى كسب وده بالرشوة المقنعة التى يسمونها هدية، وهى فى الواقع سحت ومال خبيث يأكله فى بطنه نارا، ويكوى به يوم القيامة جمرا، ويحمله على رأسه فى موقف الحساب عارا وفضيحة ونكالاً.

إن المقصود من هذه الرشوة المقنعة التوسل إلى صاحب الجاه فى استقطاع حق الغير، أو الحصول على ما لا يستحقه المهدى، وآية ذلك أنه لو تولى المنصب شخص آخر لسلمت الرشوة إليه فهى مرتبطة بالمنصب ولا علاقة لها بمحبة من يتولى المنصب لذاته..

وذات يوم استعمل الرسول ﷺ رجلا من قبيلة أزد شنوءة ويقال لهم: الأزد أو الأسْد ويسمى هذا الرجل عبد الله بن اللُّتْبِيَّة، جعله الرسول الكريم عاملا على الصدقة يجمع الزكاة من أصحابها يأتى بها إلى الرسول ﷺ ليوزعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ومصالح المسلمين العامة.

ولما انتهت مهمة الرجل فى جمع الزكاة عاد إلى المدينة ومعه مال كثير فجعل يقول للرسول ﷺ: هذا لكم أى الزكاة التى تخصكم، وهذا لى أى أهدى لى أى أن الناس منحوه هذه الهدايا خالصة له..

وظن الرجل حِلَّ هذه الهدية ولم يدرك أن الناس قدموها له طعما كى يتغافل عن تنفيذ مهمته على الوجه الأكمل، ولكن الرسول ﷺ كان يحاسب عماله ويبين لهم حدود اختصاصاتهم ويوضح لهم الحق والواجب ومعالم المسيرة الصحيحة..

عندئذ قام الرسول الكريم خطيبا على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى، أفلا قعد فى بيت أبيه أو فى بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟! والذى نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر (تصيح) ثم رفع يديه وقال: اللهم هل بلغت؟!

لا طاعة فى معصية الله

الناس فى حاجة إلى أمـراء أو ولاة، أو رؤسـاء للقيـام بـالعدل بينـهم، ومراعـاة أمورهم، وتيسير أحوالهم، وتفقد معايشهم، والحفاظ على الدين والحرمات..

ومن حق الوالى أن يطاع فى غير معصية وأن يحظى بتقديـر النـاس حتـى تظـل الكلمة واحدة، وحتى يستمر الصف مترابطا، وحتى تكون الجهود كلها فـى إطـار المصلحة العامة.. فإن الفرقة لا تأتى إلا بشر وإن النزاع لا يعقبه إلا الفشل.

وذات يوم بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهـم أن يسمعوا له ويطيعوا..

وحدث من هؤلاء الجنود شيء أغضب قائدهم فما كان مـن هـذا القـائد إلا أن أمرهـم بجمع الحطب وإيقاد النار ثم استدرجهم قائلا: ألم يأمركم رسـول الله ﷺ أن تسـمعوا لى وتطيعوا؟!

قالوا: بلى..

هنا فاجأهم الأمير قـائلا: فادخلوهـا، وأمرهـم بإلقـاء أنفسـهم فـى النـار التـى أوقدها..

ووقف الجنود حيارى هل يلقون بأنفسهم فى النار تنفيذا لأمر قائدهم ولو كـان خطأ أم يرفضون الأمر إبقاء على حياتهم من التهلكة؟

انقسم الجنود قسمين أو فريقين، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال الآخـرون: إنـا فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار أى أننا آمنا بالله وبالرسول حتى لا ندخل نار جهنم فكيف ندخلها فى الدنيا..

ففريق من الناس أخذ الأمر علـى ظـاهره وغفـل عـن حكمتـه وحـاول أن يلقـى بنفسه فى النار استجابة لنداء هذا الأمير الغاضب، وفريق تعقـل الحكمـة وحـاول

أن يشرح موقفه ورفض بإصرار مطلب أميره الغـاضب، فكـانوا كذلـك حتـى سكن الغضب وهدأ الأمير وطفئت النار..

وقد قيل إن موقف هذا الأمير كان امتحانا لجنده وقيل إنه كان مازحا، وأيا ما كان فلما عادوا من مهمتهم التى كلفوا بها وقدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ما حدث، عندئذ قال ﷺ للذين أرادوا أن يدخلوها: **لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**، وقال للآخرين قولاً حسنا ثم قال: **لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف.**

لا استثناء فى تطبيق الحدود

الحدود فى الإسلام طهارة للفرد، وحماية للمجتمع، وأمن للمواطنين، وتطبيق الحدود لا يعرف الاستثناء، ولا يفرق بين أبيض وأسود، ولا بين كبير وصغير وإنما الجميع أمام الله سواء، وشأن الحاكم أنه قدوة فى نفسه وأهله، فلا يستأثر بشىء دون رعيته ولا يحمى أهله من القانون بل العدل فوق الجميع..

وفى العام الثامن للهجرة وأثناء فتح مكة سرقت امرأة من بنى مخزوم وهم قوم لهم شأن وشرف، وشاع بين الناس أمرها، وتحدثت قريش عمن يكلم رسول الله ﷺ فيها حتى يخفف عليها الحكم..

ومن المعلوم شرعا أن السارق والسارقة متى ثبت عليهما فعل السرقة وجريمتها فقد وجب قطع اليد اليمنى، فإن سرق مرة ثانية بعد تنفيذ الحكم السابق وجب قطع الرجل اليسرى، فإن سرق ثالثًا بعد تنفيذ الحكم الثانى وجب قطع اليد اليسرى، فإن سرق رابعًا قطعت رجله اليمنى وبذلك يصبح نكالاً وعبرة..

ولو فرض أنه سرق بعد هذه المراحل الأربع فجمهور العلماء على أنه يعزر بما يراه الإمام من حبس أو ضرب؛ ويرى بعض الأئمة أنه يقتل ولا يستحق أن يعيش..

نعود إلى قصة المرأة المخزومية واهتمام قريش بشأنها فلم يجدوا أحدا يجترئ أن يكلم رسول الله ﷺ إلا أسامة ين زيد بن حارثة فهو حبيب لرسول الله ﷺ وابن حبيبه، فقد كان أبوه يسمى يوما ما زيد بن محمد إلى أن حرم الله تعالى التبنى فصار يسمى زيد بن حارثة، وأمه السيدة أم أيمن كانت حاضنة لرسول الله ﷺ..

فذهب أسامة وكلم رسول الله فغضب المصطفى الكريم وتلون وجهه وقال له: أتشفع فى حد من حدود الله، فأدرك أسامة خطأه وقال: استغفر لى يا رسول الله..

عندئذ قام رسول الله ﷺ خطيبا وقال: **أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.**

كتمان أسرار المجتمع

القضايا الخطيرة فى حاجة إلى خطة محكمة، وهذه الخطة فى حاجة إلى سرية تامة حتى تظل فى مسارها دون عقبات، والمواطن الصالح يجب أن يكون أمينا على أسرار أمته ومجتمعه..

وعلى عهد رسول الله ﷺ وخلال فترة الإعداد لفتح مكة فى العام الثامن للهجرة حرص الرسول القائد أن تظل الخطة سرية ليحقق عنصر المفاجأة للأعداء، لكن أحد المسلمين ويسمى حاطب بن أبى بَلْتعة كتب رسالة إلى أهل مكة يعلمهم فيها بما عزم عليه الرسول من غزوهم وتطهير الكعبة من رجسهم ودفع الرسالة إلى امرأة من قريش كانت فى المدينة..

وما كان الله تعالى ليخذل نبيه، فنزل الوحى الأمين ليطلع المصطفى ﷺ على ما فعله حاطب، فبعث الرسول جماعة من فرسان المسلمين ليلحقوا بالمرأة وينتزعوا منها الرسالة، فأدركوا المرأة فى الطريق وأخذوا منها الرسالة، وبدأ الرسول ﷺ يحقق فى القضية واستدعى حاطبا يسأله عما دعاه إلى إفشاء أسرار المسلمين..

وقف الرجل يدافع عن نفسه قائلا:

لا تعجل علىّ، إنى كنت امرءا ملصقا فى قريش، لم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئا..

نحن هنا أمام رجل زلت به قدمه، وأخطأ الوسيلة الصحيحة التى كان يمكن أن يحمى بها أهله المقيمين تحت جبروت الشرك والوثنية، وهو لم يفعل هذا

الفعل مكيدة للمسلمين أو محاولة لكسر شوكتهم فـهو يوقـن أن الله تعـالى سـينصر نبيه..

هنا صدقه الرسول ﷺ وقبل عذره وعفا عنه، لكن عمـر بـن الخطـاب كعادتـه فى الغيرة الشديدة قال: دعنى أضرب عنق هذا المنافق..

فالتمس الرسول عذرا للرجل وقدّر له سابق جهاده..

وعندئذ قال النبى ﷺ :

إن الرجل صدقكم .. إنه قد شهد بدرا.. وما يدريـك يـا عمـر لعـل الله اطلـع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم.

من أدب المجلس

هناك قواعد ذوقية تراعى فى المجالس، وهى ذات دلالة على حسن الأدب، فمراعاة من يكون جالسا على اليمين فى الحديث والمأكل والمشرب من الأدب الرفيع.. ويحدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه فيقول: أتانا رسول الله ﷺ فى دارنا، أى أن الرسول الكريم زاره فى بيته، ولنتذكر أن الزائر هو الرسول، وأن المزور هو الخادم فإن أنسًا خدم رسول الله عشر سنين هى مدة إقامته ﷺ فى المدينة..

ويزداد الموقف روعة وجلالا عندما يستسقى رسول الله من أهل البيت، أى يطلب شيئا يشربه تأكيدا للمحبة والألفة والمودة، فإن الالتقاء على الموائد فيه تقريب للقلوب وتنمية للمشاعر..

ويسعى أنس بن مالك ليحلب شاة عنده، ولم يكن الحليب ليكفى الضيوف، لقد صحب الرسول أبا بكر وعمر وأحد الأعراب، فقام أنس بخلط اللبن بالماء، جاء به من بئر فى بيته، ليبرد اللبن ويكثره، ولا يعد هذا غشا فإن الغش ما يقصد به البيع..

وجاء أنس بهذا الشراب فأعطاه رسول الله ﷺ فشرب وكان أبو بكر الصديق يجلس عن يساره، وعمر بن الخطاب يجلس تجاهه، والأعرابى يجلس عن يمينه، فلما فرغ رسول الله من شربه بادره عمر بن الخطاب قائلا: هذا أبو بكر يا رسول الله..

لقد خشى عمر رضى الله عنه أن يعطى رسول الله الإناء للأعرابى قبل أبى بكر، فإن لأبى بكر سابقة فى الإسلام ونصرة للدين ودفاعا عن المسلمين لا يدانيه فى ذلك أحد..

ونسى عمر أن أبا بكر يجلس على اليسار، وأن الأعرابى يجلس علـى اليمـين، فالأعرابى أولى، فالبداءة باليمين سنة، ثم إن هـذا الأعرابـى ليـس لـه مـن اليقـين والإيمان ما يجعله يؤثر أبا بكـر عليـه، فـإن فـى الأعـراب أنفـة، فـأراد الرسـول الكريم أن يتألف هذا الأعرابى ويرقق قلبه، ولم يشأ الرسول أن يسـتأذن الأعرابـى ليتنازل عن حقه حتى تظل الأمور على سجيتها..

وفى موقف آخر صادف أن كان عبد الله بن عباس وهو غلام يجلس عـن يمـين الرسول الكريم فاستأذنه الرسول ليعطى من هو أسن منه فقال للغلام: أتـأذن لى أن أعطى هؤلاء؟! فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحدا.. فرفض الغلام أن يتنـازل عن حقه ليـس عـن تكـبر أو جفـوة وإنـما إيثـارا لشـرف الشـرب عقـب الرسول.. وأيا ما كان فإن عمر بن الخطـاب أراد أن يكـون لأبـى بكـر سبق علـى الأعرابى فى الشرب..

عندئذ قال النبى ﷺ: **الأيمنون، الأيمنون، الأيمنون..**

آداب الطعـام

هنـاك آداب شـرعية للمـأكل والمشـرب سنها رسـول الله ﷺ ، فيـها تذكـير بالمنعم سبحانه، واحترام للنعمة..

وكان رسـول الله ﷺ قدوة حسنة في كل تصرفاته الخاصـة والعامـة، ويحدثنـا عمر بن أبى سلمة، وكان غلاما يتيما في كفالة رسول الله، لأن والده هو أبو سلمة الذى استشهد من أثر جرح أصابه في غزوة أحـد، وأمـه السيدة أم سـلمة إحـدى زوجات الرسول الكريم، تزوجـها الرسول ﷺ بعد استشهاد زوجـها، ومنحـها وسام أم المؤمنين، وتكفل بأبنائها الصغار، يحنو عليهم ويرعاهم، ويحسن أدبهم..

عاش عمر بن أبى سلمة في بيت النبوة، وأكل مع رسـول الله فـى إنـاء واحـد ولحداثة سنه كانت يده تطيش فى الإناء وتمتد إلى جوانبـه.. فبـدأ الرسـول ﷺ يعلمه آداب الطعام، وأولاها البدء باسم الله، ويسُتحب الجـهر بـها ليسـمع غـيره وينبهه عليها، وإذا تركها فى أول الطعام أتى بها فى أثنائـه، ويقـول: بسـم الله أوله وآخره، وتحصل التسمية بقول (بسم الله)، والأفضل أن يكملها ويقول: (بسم الله الرحمن الرحيم).

ومن الأدب أن يتناول المسلم طعامه وشرابه بيده اليمنى، ما لم يكن عنـده عـذر من مرض أو جراحة أو عجز.. وكان الرسول ﷺ يحب التيامن في شـأنه كلـه، فالأشياء التى فيها تكريم تفعل باليمين، وغيرها يفعل بالشمال، فاليمين تقدم فـى الوضوء والغسل، ويكون دخول البيت والمسجد بـاليمين، والخـروج منـهما يكـون بالشمال، ودخول دورات المياه وما شاكلها يكون بالشـمال، والخـروج منـها يكـون باليمين..

ومن آداب الطعام الأكل مما يلى الشخص، فمـد اليـد إلى مواضـع مختلفـة مـن المائدة فيه سوء عشرة، ووضع اليد فى جوانب الإناء المختلفة يسـتقذره الجليـس،

فحرصًا على المروءة والذوق يأكل المرء مما قرب منه، فإن وجدت مجموعة أطباق لألوان شتى فليكن الأخذ منها بحذر وأدب جم، وبلا مبالغة أو إسراف..

والإسلام حريص على تأليف القلوب وغرس المودة، وما أجمل أن يلتقى الناس على الموائد العامة والخاصة، فإن البركة تنزل حيث تكثر الأيدى على الطعام..

إن عمر بن أبى سلمة أكل مع رسول الله وجالت يده فى الإناء..

عندئذ قال النبى ﷺ :

يا غلام .. سم الله .. وكل بيمينك، وكل مما يليك..

إيثار الضيف

المسلم لا يعيش لنفسه فحسب، وإنما يتعاون مع إخوانه، ويتفاعل مع مجتمعه وقد يضحى فى سبيله، ويكرم الناس وقد يؤثرهم على نفسه..

وخير القرون قرن رسول الله ﷺ، وخير الناس بعد الأنبياء الصحابة رضى الله عنهم، فقد اقتفوا أثر النبوة، واستمسكوا بالعروة الوثقى، وبذلوا النفس والنفيس حبا لله ورسوله..

لقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهود أى أصابته مشقة وحاجة وسوء عيش وجوع؛ فأرسل النبى ﷺ إلى بعض نسائه يسأل عن طعام لديها، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك، لا والذى بعثك بالحق، ما عندى إلا ماء..

فلم يكن بيت النبى من زخرف ولم يكن يحوى ألوان الطعام والشراب، وإنما عاش رسول الله على الكفاف رغم أن الدنيا كانت تحت قدميه..

وحين لم يجد الرسول فى بيته ما يطعم هذا الجائع قال لأصحابه: من يضيف هذا الليلة رحمه الله؛ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى منزله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبيانى، قال: تعلليهم بشيء؟ أى حاولى أن تصرفيهم عن رؤية الطعام وحضوره حتى لا يشاركوا الضيف عشاءه..

وهذا محمول على أن الصبيان لم يكونوا فى حاجة إلى الطعام حينئذ، وإنما شأن الأطفال أن تمتد أيديهم لما يحتاجون إليه وما لا يحتاجون..

ولو أن الأطفال كانوا فى مخمصة لحرم تقديم طعامهم للضيف فإنهم أحق وأولى.

ثم قال الرجل لامرأته: فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج، وأريه أنّا نأكل، فإذا بدأ يتناول طعامه فقومى إلى السراج حتى تطفئيه..

وفى ذلك فضيلة لهذا الصحابى حيث آثر الضيف على نفسه وولده، وعمل كل ما يوفر للضيف راحته وهدوءه، وأطفأ السراج ليظل الطعام بأجمعه أمام الضيف، ولا يشعر بحرج إذا وجد أهل البيت لا يأكلون معه..

وهكذا قعد الرجل وزوجته وأكل الضيف حتى شبع..

وشكر الله تعالى لهذا الصحابى الجليل، وأعلم نبيه ﷺ بهذا الموقف العظيم، فلما أصبح غدا الرجل على النبى ﷺ، وعندئذ قال النبى ﷺ:

قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة..

النهى عن الغيبة

المسلم حريص على أخيه المسلم يتفقد أحواله ويحفظ عرضه وماله، ويصون حرماته كلها، كذلك فإن المسلم حريص على أن تكون كلمته رقيقة مهذبة، بعيدة عن السوء والفحش ولغو الحديث..

وقد حرم الإسلام الغيبة، وهى ذكر الإنسان أخاه بأوصاف لا تليق، وتسئ إلى سمعته، وتنال من كرامته، وقد شبه القرآن المجيد الإنسان الذى يغتاب الناس ويقع فى أعراضهم بمن يأكل لحم أخيه الميت، وهى حالة أشد نكرا وأعظم جرما، وأبعد عن كل رشد.. قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

(الحجرات/١٢)

وقد حرص الرسول ﷺ على تعليم أصحابه محاسن الأخلاق، وكان يسائلهم ويحاورهم ليلفت أنظارهم ثم يقدم لهم النصيحة كى ترسخ فى أذهانهم بعد أن تهيأوا لقبولها.. وذات يوم قال الرسول ﷺ لأصحابه: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره..

فالغيبة هى أن تذكر إنسانا فى غيبته وبعيدا عن مسامعه بأوصاف يكرهها وتسىء إليه بقصد التشهير به أمام الناس..

لكن هناك أمور تباح فيها الغيبة بمعنى ذكر المساوئ لشخص ما، لا بقصد التشهير وإنما لغرض آخر صحيح، وذلك فى ستة مواضع هى:

١ – المظلوم يرفع شكواه إلى الحاكم.

٢ – المستغيث على تغيير المنكر ورد العاصى لمن يملك القدرة عليه.

٣ – المستفتى للعالم فى علاقته بالناس لتصحيحها وتقويمها.

٤ – المستشار لمن يطلب منه المشورة فى زواج أو بيع وشراء وغير ذلك.

٥ – المجاهر بفسقه وبدعته.

٦ – المعروف بلقب كالأعمش والأعرج والأعمى والقصير.. الخ. إذا كان من باب التعريف به لغيره وليس من باب التنقيص..

ولما ذكر الرسول ﷺ تعريف الغيبة قال الصحابة: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ يعنى لو ذكر الإنسان أخاه بعيب حقيقى فيه لا لغرض شرعى، بل لمجرد التنقيص والاستهزاء أيعد ذلك حراما ومن باب الغيبة؟!

هنا نبههم الرسول الكريم إلى أن ما يذكره الإنسان فى أخيه إن كان واقعا وصحيحا وعلى سبيل الاستهزاء به فهو غيبة محرمة شرعا وإن لم يكن فيه هذه المعايب فهو كذب، والكذب فسق وفجور..

عندئذ قال النبى ﷺ: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته.**

النهى عن التعصب

الإسلام حريص على الوحدة والتقاء الناس على الحب، يستشعرون معانى الأصل الواحد الذى يجمعهم وهو أبوهم الأول آدم عليه السلام، فإن الناس جميعا من آدم، وآدم من تراب، ولا يصح التفاضل بينهم بسبب العرق أو اللون أو النسب، وإنما التفاضل يكون بالإيمان والعمل الصالح.. قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

(الحجرات/١٣)

والإسلام يرفض العنصرية ، ويمقت التعصب، ويدعو إلى التسامح بحيث يعيش الناس عباد الله إخوانا، بلا أحقاد أو ضغائن، وبلا مكر أو خديعة، وبلا تحزب أو طائفية.. قال الله تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾.

(آل عمران/١٠٣)

وذات يوم كان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ فى غزوة من الغزوات التى يدافعون فيها عن دينهم ويردون كيد المعتدين.. والتقى غلامان، غلام من المهاجرين الذين هاجروا من مكة واستقروا فى المدينة، وغلام من الأنصار الذين هم أهل المدينة واستقبلوا المهاجرين أحسن استقبال، التقى هذان الغلامان على بئر ماء، كل منهما يريد أن يسقى أولاً، فحدث نزاع بينهما فضرب الغلام المهاجرى أخاه الغلام الأنصارى..

تفاقم الموقف فتنادى الأنصارى وقال: يا للأنصار، وتنادى المهاجرى وقال: يا للمهاجرين، أى أن كلا منهما أراد أن يستثير جماعته لمناصرته على الآخر،

فاستغاث أحدهما بالأنصار واستغاث الآخر بالمهاجرين، وكادت تقع فتنة لـولا أن الرسول ﷺ تدارك الموقف، وخرج على الفور بمجرد سماع صوت الاستغاثة وقال: ما بال دعوى الجاهلية، أى لماذا تنظرون إلى الموقف نظرة طائفية مـن بقايا العهد الجاهلى قبل الإسلام، عندما كان يهب القـوم لنصـرة أخيـهم دون تريـث، ودون معرفة المحق من المبطل..

فقالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار..

أى أنهم ذكروا للرسول أصل الموقف وهو أن أحد المهاجرين ضرب أحد الأنصار وأعلمهم الرسول ﷺ أن المسلم يبحث عن الحـق وينـاصره، ويحـرص علـى العـدل ويقيمه، ويدعو إلى الإنصاف ويلتزم به، وليست المسألة مرتبطة بقبيلة أو عنصر أو نسب، فمن كان مظلوما وجب أن يناصر حتى يُـرد إليـه الحـق، ومـن كـان ظالما وجب أن يمنع من ظلمه حتى لا يتمادى فيه، وهذا هو منهج العدل الـذى يجـب أن يسود مجتمع المسلمين..

عندئذ قال النبى ﷺ: **دعوها فإنها منتنة، وقال: لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، إن كان ظالما فلينهـه فإنه له نصر، وإن كان مظلوما فلينصره.**

اليمين الفاجرة

الناس فى حاجة ماسة إلى دين الله تعالى، يستقر فى القلب، ويحكم السلوك والأخلاق، حتى تستقيم المعاملات، ويؤدى كل إنسان واجبه ويأخذ حقه، دون منازعات أو مخاصمات..

وفى غيبة المراقبة لله تعالى تضيع الحقوق وتهدر الكرامات وتنتهك الأعراض، لأن القوانين مهما أحكمت لا تصل إلى الإنسان فى خلواته ومشاعر نفسه وخلجات فؤاده، ثم إن القانون يحميه البشر وليسوا معصومين..

إن المسلم الحقيقى يدرك معنى قوله تعالى على لسان لقمان لابنه وهو يعظه:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾

(سورة لقمان / ١٦)

وذات يوم جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبى ﷺ يرفعان إليه شكوى، فقال الحضرمى: يا رسول الله إن هذا قد غلبنى على أرض لى كانت لأبى، وقال الكندى: هى أرضى فى يدى أزرعها ليس له فيها حق.

وأمام هذا التعارض لا يملك القاضى إلا أن يطلب من كل منهما إثبات ما يدعيه، فقال النبى ﷺ للحضرمى: ألك بينة؟! فقال: لا، فقال الرسول: فلك يمينه..

فالمدعى صاحب الحق إذا لم يقدم البينة وهى الشهود الذين يظاهرونه ويؤيدونه فى دعواه لا يبقى إلا أن يحلف المدعى عليه، فالقاضى لا يطلع على دخائل النفس البشرية، والحل الشرعى هو بينة المدعى أو يمين المدعى عليه.. لكن

الرجل المدعى فى قضيتنا هذه رفض أن يعتمد الرسول ﷺ يمين المدعى عليه وقال:

يا رسول الله إن الرجل فاجر، لا يبالى على ما حلف عليه، وليس يتورع من شىء، فقال الرسول ﷺ: ليس لك منه إلا ذلك.

فالقضاء له طرقه فى الإثبات ، وليس يتعامل مع ما تكنه الصدور، ولا يعلم القاضى السر المكنون..

ومن هنا تتأكد أهمية التعامل بالدين، والحرص على مراقبة الله، وامتلاء القلب بخشية الله فإن هذا هو الحل الأمثل لمشاكل الناس وقضاياهم، وهو الذى يمنع الظلم ويقضى على الزور وقول الباطل.. قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ (٧٥) ﴾

(النمل/ ٧٤، ٧٥)

وانطلق الرجل الكندى ليحلف..

عندئذ قال النبى ﷺ: **أما لئن حلف على ماله ليأكل ظلما ليلقينَّ الله وهو عنه معرض.**

وفى رواية: **من اقتطع أرضا ظالما لقى الله وهو عليه غضبان.**

اليمين لا تمنع من خير

يتعامل المسلم فى كافة شئون حياته بالصدق والأمانة، ويؤدى ما عليه، ويسأل الله الذى له، لكن هناك مواقف أحيانا تستدعى أن يحلف الإنسان تأكيدا، ولا حرج فى ذلك شرعا، كل ما فى الأمر أن المسلم لا يحلف كاذبا ولا يجعل اليمين تمنعه من فعل خير وبر، وعليه أن يستشعر عظمة المحلوف به، فإن الحلف فى الإسلام لا يكون إلا بالله تعالى أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته..

وأحيانا بعدما يحلف المسلم على ترك شيء يرى أنه فى حاجة إليه أو قد يكون الإنسان حلف في حال الغضب ولما أفاق أحس بخطأه، هنا شرع الله تعالى كفارة اليمين وهى إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة فإن عجز المرء صام ثلاثة أيام.. قال الله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(المائدة / ٨٩)

وذات يوم جاء أبو موسى الأشعرى فى رهط من الأشعريين (جماعة من أهل اليمن)، أثناء غزوة تبوك، وكان الوقت وقت عسرة وشدة على المسلمين، جاء هؤلاء الرهط يريدون المشاركة فى الجيش ويطلبون من الرسول ﷺ أن يجد لهم إبلا يركبونها، فقال لهم الرسول وهو غضبان: والله لا أحملكم، وما عندى ما أحملكم عليه..

فرجع أبو موسى حزينا من منع رسول الله، ومن مخافة أن يكون الرسول ﷺ قد غضب عليه، وقد كان هؤلاء الرهط حريصين على شرف المشاركة فى الجهاد لنصرة دين الله عز وجل، ولكن الرسول كان مشغولا بإعداد الجيش ولم تكن الميزانية تسمح بحمل هؤلاء، وكان الوقت شديد الحر، واستغل الموقف بعض المنافقين ليشيعوا الأقاويل ويثبطوا العزائم، وفيهم نزل قوله تعالى:

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) ﴾.

(التوبة /٨١)

وبعدما رجع أبو موسى الأشعرى إلى قومه حزينًا لم يلبث إلا قليلا حتى استدعاهم رسول الله ﷺ وأعطاهم خمسا من الإبل يركبونها للمشاركة فى الجهاد..

لكن القوم - مع شدة فرحتهم ظنوا أن الرسول ﷺ نسى يمينه وقالوا:

لا يبارك الله لنا ، أتينا رسول الله ﷺ نستحمله فحلف ألاَّ يحملنا ثم حملنا..

فجاءوا إلى الرسول الكريم وقالوا: أفنسيت يا رسول الله ؟

فشرح لهم الرسول الموقف وهو أنه لم يكن عنده إبل يحملهم عليها عندما رغبوا فى المشاركة فى الجيش، ولما يسر الله تعالى الأحوال وتوفرت الإبل لبى هذه الرغبة الشريفة وأرسل إليهم بالإبل.. وأما قضية اليمين فليست تمنع من البر والخير طالما أن الله تعالى شرع كفارة لليمين.. عندئذ قال النبى ﷺ:

ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم، وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيرا منها إلا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير.

قدسية حقوق الجـار

الجار له حقوق كثيرة فى الإسلام، وقد خصه الرسول بمزيد العناية والتوجيه، وحق الجار مقدس سواء كان الجار مسلما أو غير مسلم..

ومما لا ريب فيه أن الدعوة إلى الإسلام ليست كلامـا يـردد، وليسـت شـعارات ترفع وإنما هى سلوك وقيم وأخلاق، والدعوة بالقدوة الحسنة هى أبلغ تأثـيرا فـى النفوس، وأقوى جذبا لهذا الدين الخالد..

إن إسلامنا دعوة عالمية باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والنـاس فـى حاجة إلى أن يعيشوا بالإسلام، ويتعاملوا بالقرآن، ويكونوا عباد الله إخوانا..

وقد انتشر الإسلام فى أماكن كثيرة، بحسن المعاملة وطيب الكلام وكرم الأخلاق للتجار المسلمين الذين جابوا أفريقيا وآسيا بالإسلام وللإسلام.

وذات يوم سأل الرسول ﷺ أصحابه قائلا:

ما تقولون فى الزنا؟ قالوا: حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامـة، ثـم قال لهم: ما تقولون فى السرقة؟ قالوا: حرمها الله ورسوله فهى حرام..

لقد أراد الرسول ﷺ أن يستشعر الناس عظم الذنب والجريمة التى تترتب على ارتكاب الزنا والسرقة..

فإن الزنا انتهاك للأعراض وتضييـع للأنسـاب وتنتشـر معـه الأمـراض السـرية الفتاكة التى تعصف ببنى الإنسان، ثم إنه يضـع الإنسـان الـذى كرمـه الله فـى عداد العجماوات، ويهوى به إلى مكان سـحيق مـن الحيوانيـة العميـاء، ولـذا فقـد جعل الإسلام الرجم حتى الموت عقوبـة للزنـاة الذيـن سـبق لهـم الـزواج، وجعـل الجلد مائة جلدة للزناة الذين لم يسبق لهم زواج شرعى..

كذلك فإن السرقة أكل لأموال الناس بالباطل، واعتداء صارخ على حقوق الغير وإشاعة للرعب والفساد بين الناس، ولذا جعل الله حد السرقة قطع اليد عقوبة رادعة..

لكن إذا كان هذا هو شأن الزنا والسرقة عموما فكيف إذا وقعا بين الجيران، وبدأ الناس يعتدون على أعراض جيرانهم ويسرقون أموالهم ولم يعد الجار مؤتمنا على جاره؟!

عندئذ قال النبي ﷺ:

لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل عشرة بيوت أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره.

مدارة الناس

الحياة الاجتماعية تحتاج إلى الفطنة، بحيث يستبين الإنسان مواقع أقدامه فلا يزل ولا يسئ إلى أحد ولا يساء إليه، ويعامل الناس برفق طالما كان ذلك ميسورا ولا يترتب عليه مفسدة دينية أو دنيوية..

وأحيانا تكون الكلمة الطيبة مع غلاظ القلوب مدعاة لتأليفهم وترويضهم على الحب والصفح والتسامح..

وتحدثنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رجلا استأذن على النبى ﷺ، وكان هذا الرجل هو عُيينة بن حصن من الأعراب الجفاة، وكان ممن أظهر الإسلام ولم يؤمن قلبه..

فقال رسول الله ﷺ: ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة، وفى رواية: بئس رجل العشيرة، وفى رواية: بئس أخو العشيرة..

فالرسول ﷺ حين علم أن المستأذن هو عُيينة بن حصن، بيّن حاله ووصفه بما هو عليه من الجفاء والغلظة وسوء العشرة، فهو رجل سيئ الخلق فى قومه، وقد ذكر الرسول هذا المعنى لمن كان يجلس معه قبل أن يأذن لهذا الرجل فى الدخول..

فلما دخل الرجل وجلس مع الرسول ﷺ ألان له الرسول الحديث، وتكلم معه بهدوء، ولم يُسمعه شيئا يؤلمه أو يغضبه بل أعطاه شيئا من المال تأليفا له، وترغيبا له فى الدين، ومعالجة نفسية لما يضمره من بغض وحقد على الرسول والمسلمين..

وعجبت السيدة عائشة من هذا الموقف كيف أن الرسول حذر منه قبل الدخول ثم ألان له الكلام بعد الدخول.. فقالت: يا رسول الله قلت له الذى قلت ثم ألنت له القول؟!

ونسيت السيدة عائشة أن مداراة من يتقى فحشه هى من الفطنـة، وأن الفاسق يجب تحذير الناس منه، وأن المعلن لفسقه لا غيبة له.

إن الرسول ﷺ لم يمدح الرجل بعد أن ذمه، ولا أثنى عليـه فـى وجهـه وإنمـا تألفه بشىء من الدنيا مع لين الكلام..

عندئذ قال النبى ﷺ:

يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من وَدَعـه أو تركـه النـاس اتقاء فحشه.

موقف نبيل مع امرأة سوداء

قد يعمل البعض فى خدمة الناس خدمة خاصة أو عامة، ولا حرج فى ذلك طالما التزم الإنسان الشرف والكرامة والأمانة، فلا يفرط فى عرض، ولا يذل نفسه، ولا يخون من ائتمنه.. وفى مقابل ذلك يجب أن يلقى هؤلاء الكادحون الرعاية والمساعدة بحيث يتفقد صاحب العمل شئونهم ويرعى مصالحهم..

وكان رسول الله ﷺ حريصا على ذلك حرصا كبيرا لا يفرق بين أسود وأبيض، ولا بين أعجمى وعربى، فالناس جميعا أبناء آدم وآدم من تراب، ومقياس التفاضل بينهم هو التقوى والعمل الصالح..

وعلى عهد رسول الله ﷺ كانت هناك امرأة سوداء تقوم على نظافة المسجد، وإزالة القمامة، وتهيئته للصلاة واجتماع المسلمين، وكان الرسول الكريم يسأل عنها ويتفقد أحوالها ويرعى شئونها..

وذات يوم افتقدها الرسول الكريم فلم يجدها كعادتها فى خدمة المسجد، فسأل عنها أصحابه، فكانت المفاجأة.. لقد قالوا: إنها ماتت، وتكفل بها الصحابة فغسلوها وكفنوها وصلوا عليها ودفنوها..

فتعجب الرسول ﷺ كيف أخفوا أمرها عنه؟ وكيف لم يعلموه بموتها؟ وقال: أفلا كنتم آذنتمونى؟!

فكأن الصحابة رضى الله عنهم صغّروا أمر هذه المرأة، وظنوا أن الرسول ﷺ لن يهتم بها ولن يسأل عنها، فإن له من المشاكل والمشاغل والمهمات ما يمنعه من متابعة حالات صغيرة هينة كحالة هذه المرأة السوداء التى تعمل فى خدمة المسجد..

لكن الرسول ﷺ علمهم درسا بليغا، فإن هذه المرأة السوداء قد خدمت المسلمين وعملت فى نظافة مساجد الله، وأدت عملها بإخلاص وأمانة فيجب أن تكافأ وتكرم فى حال حياتها وحال موتها..

فليس من الخير أن يتنكر الناس لمن خدموهم بعد وفاتهم، وليس من حسن الخلق أن تطوى صفحة الكادحين بعد موتهم، وليس من البر أن نتناسى الخدمة التى أسداها إلينا الآخرون..

لقد سأل الرسول الكريم عن قبر المرأة السوداء، فدلوه عليه وذهب إليه ووقف على القبر وصلى على هذه المرأة صلاة الجنازة..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أصحابها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتى عليهم.

حق الطريق

الإنسان فى بيته غير الإنسان فى الطريق وأمام الناس، فالإنسان داخل بيته قد يتخفف من ملبسه، وقد يتخذ أوضاعا لا يحب أن يراها غيره.. والإنسان أمام الناس تحكمه ضوابط وقيم وأعراف..

والطريق العام له آداب فى السلوك واللقاء والكلمة.. وحرية الإنسان إنما تنتهى عند حدود حريات الآخرين..

والمسلم الصادق في إيمانه يراقب الله تعالى على كل حال وفى كل مكان، لأنه يعلم أن الله يرى، وأن الله لا تخفى عليه خافية..

وذات يوم وجه الرسول ﷺ تحذيرا لأصحابه فقال: إياكم والجلوس فى الطرقات..

وكان هذا النهى منصبا على المضار التى تلحق الناس من جلوس البعض فى الطرقات، فإنهم قد يتخذون من ذلك سبيلا لتتبع عورات النساء وإلقاء الكلمة الفاحشة، أو سبيلا لإيذاء المارة بسلب أموالهم والهمز والغمز عليهم، أو سبيلا لإشاعة المنكر والعلانية بالإثم والمجاهرة بالمعصية أو سبيلا لتجمع بغيض لذوى الأحقاد والنزوات وقرناء السوء..

وقد فهم الصحابة رضى الله عنهم أن النهى عام وتحرجوا وبدأوا يتساءلون فقالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها..

أى أنهم مضطرون أحيانا للجلوس فى الطريق، فماذا يفعلون؟

هنا قال رسول الله ﷺ:

- فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه.

أى أن القضية مرتبطة بقيم وأخلاق وسلوك، فمتى حرص الناس عليها سلمت لهم حياتهم وعاشوا إخوة متحابين..

قالوا: وما حقه؟

فالصحابة رضى الله عنهم أحرص الناس على الخير وأسرع الناس إلى البر والمعروف وأخلص الناس لله ورسوله، وكانوا دائما يرغبون في توجيهات رسول الله ووصاياه ليقينهم الكامل بأنه الرحمة المهداة وصاحب الخلق العظيم..

عندئذ قال النبى ﷺ:

غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر..

من أبواب الخير

المسلم يعيش بإسلامه حياتـه كلـها، لأن الإسـلام ديـن الله الخـاتم الـذى يعـم البشرية فى كل زمان ومكان، وينظم الحياة فى دروبها المختلفة بحيث تستقيم مع الدين ومنهج الله..

وحين يعيش المسلم بإسلامه تكـون حركاتـه وسـكناته ومواقفـه كلـها باسـم الله وابتغاء مرضاة الله..

وكان الرسول ﷺ يتفقد أصحابه، ويرشدهم، ويصحح لهم، ويقـدم لهـم معـالم الطريق..

وذات يوم سأل النبى الكريم أصحابه قائلا:

من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر رضى الله عنه: أنا.

ثم سأل النبى سؤالاً ثانيا فقال:

فمن تبع اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضى الله عنه: أنا.

ثم سأل النبى سؤالاً ثالثا فقال:

فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر رضى الله عنه: أنا.

ثم سأل النبى سؤالاً رابعا فقال:

فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر رضى الله عنه: أنا.

هكذا كان الرسول يوجه أصحابه إلى منابع الخير ومواقف السـلوك الاجتمـاعى الراشد، وبالتأمل فى هذه الأسئلة نجد أنها بدأت بتهذيب النفس والرقى بـها إلى مصاف الملأ الأعلى، لأن الصوم تربية وجهاد، وهو يوقظ فى الإنسان ملكة المراقبة الذاتية لله عز وجل. وكان السؤال الثانى عن تشييع الجنازة ليظـل المسـلم معتـبرا بهذه النهاية مستعدا لها، فكل حى وإن طالت سلامته لابـد أن يرحـل عـن هـذه

الحيـــاة شـــاء أم أبـى، وإن الأجـل المسمى الذى حدده الله تعالى للكـائن الحـى لا يمكن أن يتقدم أو يتأخر، وتقف الإنسـانية جمعـاء حـيرى أمـام ذلـك الابتـلاء الإلهى، كما قال الله تعالى:

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

(سورة الواقعة — ٨٣ : ٨٧)

والإنسان عندما يستشعر هذه النهاية يستقيم على الجادة ويعمل الخير ولا يظلم الناس شيئا..

ثم كان السؤال الثالث عن إطعام المساكين وتلك خصلة حميـدة، فـإن الغنـى والفقر يتناوبان على الإنسان، فأغنياء اليوم فقراء الأمس، وفقراء اليوم أغنياء الغـد كما قال الله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(آل عمران — ١٤٠)

ثم كان السؤال الرابع عن عيادة المريض مشاركة الناس فى نوائبهم وحثهم على الصبر ومؤازرتهم بالدعاء والكلمة الطيبة.

ولأهمية هذه الجوانب فى حياة المجتمع، وأهمية مشاركة المسـلم فيـها وقيامـه بها كان أبو بكر الصديق سباقا إليها، وشاء الله تعالى أن يؤديـها جميعـا فـى يـوم واحد صامه وشيع فيه جنازة وأطعم فيه مسكينا وعـاد مريضـا.. وأجـاب الرسـول ﷺ بأن هذه الخصال الكريمة اجتمعت له فى يومه هذا..

عندئذ قال النبى ﷺ:

ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة.

الحرص على مجالس العلم

شرف الله تعالى العلم، وأعلى قدر العلماء، وجعل مداد العلماء يعدل دم الشهداء، وكان رسول الله ﷺ يجلس فى المسجد يعلم الصحابة أمور دينهم، ويشرح لهم الوحى المنزل.

وكان المسجد إلى عهد الرسول الكريم ملتقى المسلمين جميعا رجالا ونساء وصبية، يتشاورون فيما بينهم ويبحثون شئون الحرب والسلم وأمور الدين والدنيا..

فالمساجد هى أطهر البقاع، تحفها الملائكة ويستشعر فيها المسلم أنوار الله جل جلاله.. قال الله تعالى:

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

(النور – ٣٦: ٣٨)

وذات يوم كان الرسول ﷺ جالسا فى المسجد والناس حوله ومعه فى مجلس علم ودعوة خير إذ أقبل نفر ثلاثة إلى هذه الحلقة العلمية وحاولوا أن يجدوا مكانا بجوار الرسول الكريم لينتفعوا بما يسمعون من الهدى والنور.. فرأى أحدهم فرجة فى الحلقة فجلس فيها ولم يزاحم أحدا وتيسر له الجلوس، أما الثانى فلم يجد مكانا فى الصف فجلس خلف الصفوف فى هدوء، دون أن يؤذى أحدا أو يطلب تفسحا وأخذ يستمع إلى حديث رسول الله..

أما الثالث فلم يجد مكانا لا فى الصف ولا خلفه، فأدبر وخرج وأعرض عن سماع العلم ولم يكلف نفسه عناء الوقوف ليستفيد من أدب رسول الله وحسن توجيهاته..

ومما لا شك فيه أن الأول أقبل بجد وحرص وشغف على سماع العلم، ولجأ إلى الصف ابتغاء مرضاة الله وتقدم دون خجل أو حياء وجلس فى الصف حبا لله ورسوله.

وأن الثانى أخذه الحياء وجلس خلف الصف فى مواراة ومداراة، وأصغى بأذن واعية إلى درس العلم حبا لله ورسوله.

أما الثالث فلم يكن لديه الحرص على العلم فلا هو جلس فى صف ولا جلس خلف الصف ولا هو وقف على الحلقة عسى أن يصل إلى سمعه ما يصلح سلوكه أو يصحح عقيدته أو يرشده إلى خير..

وقد لمح الرسول ﷺ هؤلاء النفر الثلاثة عندما قدموا، وشاهد ما فعله كل واحد منهم..

عندئذ قال النبى ﷺ:

ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه..

التنزه عن ظن السوء

المسلم لا يقف موقف التهمة، ولا يسلك مسلك الريبة، ويظل دائما حريصا على شرف السمعة وكرامة العرض..

والمسلم يحسن الظن بالناس ولا يسارع إلى إلقاء التهم، ويمسك لسانه عن الخوض في الأعراض، ولا يتناقل الكذب ولا يروج الإشاعة ولا يساعد على الفتنة، وقد قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

(الحجرات – ١٢)

وذات يوم كان الرسولﷺ معتكفا في المسجد في العشر الأواخر من رمضان..

وتلك سنة كريمة أن يمكث المسلم بعض الوقت في المسجد خالصا قلبه لله، رطبا لسانه بذكر الله..

وأثناء اعتكاف الرسول الكريم في مسجده جاءته إحدى نسائه، وهي السيدة صفية بنت حُيي، لتزوره ليلا، فجلست رضى الله عنها تحدث الرسول الكريم في أمور تهمه أو تهمها، ثم قامت لتذهب إلى بيتها، فقام معها الرسول يودعها حتى تخرج من المسجد.

وأثناء وقوف الرسول مع زوجه السيدة صفية لتوديعها مرَّ رجلان من الأنصار، ودققا النظر فيمن يقف لأن الوقت كان ليلا، فلما رأيا أنه الرسول واقف مع امرأة أسرعا الخطى، فتنبه الرسول الكريم إلى أن هذين الرجلين قد يظنان سوءا ويلقى الشيطان في قلبيهما أن الرسول واقف مع امرأة أجنبية..

فقال النبى ﷺ: على رسلكما، فنادى عليهما وقال لهما: إنها صفية بنت حيى، أى هذه زوجتى.

فقال الرجلان: سبحان الله يا رسول الله.. أى لا يمكن أن نظن بك إلا خيرا، ولا يمكن أن يخطر بقلوبنا شىء يمس كرامة رسول الله..

لكن الرسول ﷺ كان حريصا على توضيح الأمر وتجلية الموقف دفعا للتهمة ومنعا لقالة السوء ودحضا لنزغات الشيطان..

عندئذ قال النبى ﷺ:

إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا..

القســم

المؤمن صدوق لا يتكلم إلا بالحق، وإذا وعد أنجز، وإذا عاهد وفى، يتعامل مع الناس بالحسنى، ويعلم أن الله يرى، ويؤمن أن ما فى النفس لا يخفى على بارئها، فهو يفهم قول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾.

(المجادلة/ ٧)

فالمؤمن لا يحتاج إلى توكيد كلامه بالحلف والأيمان المغلظة، ثم هو لا يحلف ليدفع نفسه إلى فعل شىء أو لينهاها عن فعل شىء، لأن تعامله يجرى على الفطرة والنقاء والطهر، وهو يلتزم بما يحب الله ويرضى..

لكن بعض الناس يحلفون ثم يحنثون، والبعض يحلف كذبا، والبعض يحلف ليمنع نفسه من معروف وبر وصلة.. وتلك صور يرفضها الإسلام.. قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) ﴾.

(البقرة/ ٢٢٤)

وحين يحلف الإنسان ويحنث لأى سبب كان فقد جعل الله كفارة مخيرة فى الابتداء، مرتبة فى الانتهاء، فهو مخير فى أن يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم أو

يعتق رقبة، يفعل من ذلك ما يراه مناسبًا لحاله، فإن عجز انتقل إلى صيام ثلاثة أيام.. قال الله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

(المائدة / ٨٩)

وذات يوم أدرك الرسول ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ركب وسمع عمر يحلف بأبيه..

والإسلام يرفض هذا الاتجاه فإن الحلف يقتضى تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يشبه به أحد.

وبعض الناس يحلفون بآبائهم وأمهاتهم وقبور أنبيائهم وصالحيهم، وهذا كله مرفوض دينيا، فالحلف لا يكون إلا بالله تعالى أو اسم من أسمائه سبحانه، أو صفة من صفاته جل شأنه، كأن يقول: والله أو أقسم بالعلى العظيم، أو أحلف بعزة الله.. الخ.

وسمع الرسول قسم عمر بأبيه، عندئذ قال النبى ﷺ :

ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

حسن الخاتمة

يمر الإنسان بمراحل تربوية فى حياته تبعا لظروف البيئة والأسرة، فإن تأثيرات هذه الظروف فى حياة المرء كبيرة جدا، قد تدفعه إلى الخير وترشده إلى المعروف والبر عندما تكون بيئة صالحة وأسرة سعيدة، وقد تدفعه إلى الشر والمأثم عندما تتلوث البيئة وتتفكك الأسرة..

ويظل الإنسان أمام الله تعالى فى إقبال وإدبار حتى تأتى الخاتمة والنهاية، والله تعالى يمهل ولا يهمل، ويدع للإنسان فرصة التأمل والعودة إلى الرحاب الطاهرة، ويناديه صباح مساء بأن يقبل عليه بقلب سليم..

ثم تكون العودة بالخاتمة، فمن ختم له بخاتمة السعادة فهو من أهل السعادة، ومن ختم له بخاتمة الشقاوة فهو من أهل الشقاوة..

وذات يوم قال الرسولﷺ لأصحابه: يضحك الله لرجلين، يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة..

يريد الرسولﷺ أن يقول لأصحابه إن هناك حالة عجيبة: رجلان يقتتلان فيؤدى قتالهما إلى أن يموت أحدهما، ومن المعلوم شرعا أن القاتل ظلما يناله الغضب والوعيد الشديد من الله تعالى يوم القيامة وأن المقتول ظلما فى الجنة ونعيمها يتقلب كيف يشاء..

قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

(النساء / ٩٣)

لكن الحالة العجيبة التى أشار إليها الرسول ﷺ هى أن القاتل والمقتول كليهما يدخل الجنة، فقال الصحابة: كيف يا رسول الله؟!

فأجاب الرسول بأن هذه الحالة العجيبة قد تحصل عندما يلتقى المسلم بالكافر فى معركة من أجل الحق والدين، فقد يتغلب الكافر على المسلم فيقتله، فيكون المسلم حينئذ شهيدا، له المنزلة الكبرى والثواب الأعظم فى الفردوس الأعلى.. قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (آل عمران ١٦٩-١٧١)

ثم تحدث المفاجأة ويتحول القاتل الكافر عن عقيدته ويشرح الله صدره للإسلام وينتقل من صفوف الأعداء إلى صفوف المسلمين، يدافع عن دينه الجديد الذى ارتضاه بمنطق العقل والقلب واقتنع به اقتناعا جعله يضحى بكل شىء..

ويظل هذا المسلم الجديد يدافع ويناضل ويقاتل فى سبيل الله حتى ينال شرف الشهادة فيلقى الله شهيدا ويدخل الجنة، فالإسلام يَجُبُّ ما قبله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن تاب توبة نصوحا يبدل الله سيئاته حسنات..

قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

(الفرقان / ٦٨ : ٧٠)

إن النبى ﷺ ألقى على مسامع أصحابه هذه القضية العجيبة وشوقهم إليها فلما سألوا عنها..

عندئذ قال النبى ﷺ:

يُقتل هذا فيلج الجنة، ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام، ثم يجاهد فى سبيل الله فيستشهد.

العبرة بالخواتيم

قد يبدأ الإنسان الطريق خيرا كان أو شرا، ويواصـل مسيرته فيـه إلى أن تـأتي لحظة النهاية فيتغير الموقف من الخير إلى الشر، أو من الشر إلى الخير..

وقد يعمل الإنسان العمل ليصل إلى نتيجة يراها أو غاية يقصدها، فإذا بـه بعد أن يقطع شوطا كبيرا يتحول إلى نتيجة أخرى أو غاية بديلة..

وقد يمارس الإنسان نشاطا ويبذل جهدا فـى اتجـاه معين، فـإذا بـه يصل إلى اتجاه آخر..

وأيا ما كان فـإن العبرة بـالخواتيم، ومـا علـى الإنسـان إلا أن يسعى ويبذل الجهد ويبتغى مرضاة الله ثم يدع العواقب لله أحكم الحاكمين..

وفى إحدى الغزوات التقى الرسول ﷺ فى معركة حامية مع المشركين، وعقب انتهاء المعركة مال الرسول إلى عسكره، ومال المشركون إلى عسـكرهم، وتجمع كل فريق فى المكان المخصص له، وظل رجل من عسكر المسلمين يتتبع فلول المشـركين ويضرب بسيفه من يجده فى طريقه، حتى شاع خبره بـين المسلمين ورفعـوا أمـره بإكبار إلى الرسول ﷺ وقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان..

أى أنه بذل جهدا شاقا فى المعركة، ورأى الناس أنه أكـثرهم قتـالا، وأشدهم بأسا، وظنوا أن له الثواب الأعظم والجزاء الأوفى..

فقال رسول الله ﷺ: أما إنه من أهل النار..

فدهش القوم وتعجبوا حتى قام أحدهم وتتبع الرجل ليتعرف عليه عن قـرب، وسار خلفه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه..

فرأى هذا الصحابى الرجل المقاتل وقد جرح جرحا شـديدا ولم يصـبر علـى مـا أصابه، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وطرفه الأسفل بـين ثدييـه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه وانتحر..

ولا شك أن قتل النفس كقتل الغير سواء بسواء، كلاهما جريمة نكراء، فإن الأنفس كلها لله رب العالمين، لا يملك أحد منها شيئا، ويجب الحفاظ على الدماء كلها إلا بحقها..

ولما رأى الصحابى ما آل إليه حال الرجل المقاتل ذهب إلى الرسول وقال: أشهد أنك رسول الله، فسأله الرسول: وما ذاك؟ أى ما سبب قولك هذا الآن؟ قال الصحابى: الرجل الذى ذكرت آنفا أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك، فقلت أنا لكم به فخرجت فى طلبه حتى جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه (طرفه الأسفل) بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه..

عندئذ قال النبى ﷺ: **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة.**

الفصل الثالث

فى العبـادات

- أبواب الجنة
- رجل من أهل الجنة
- أعمال تدخل الجنة
- موقف تعليمى
- حسن الدعاء
- استحباب الرقية
- يسر العبادة وشمولها
- كثرة الخُطا إلى المساجد
- أصحاب الأعمال وصلاة الجماعة
- آداب الصلاة
- التخفيف فى صلاة الجماعة
- أدب الاقتداء فى الصلاة
- الزكاة بين المنع والتقديم
- الرفق فى الصوم
- الصوم فى السفر
- الأضحية
- حكم الصيد أثناء الحج
- النيابة فى الحج
- المرأة فى الحج
- محرمات الإحرام
- العمرة فى رمضان
- الحج فريضة العمر
- ثواب الله فى التسبيح
- الرفق فى الدعاء
- مجالس الذكر

أبواب الجنة

ربط الله تعالى العمل الصالح بالجنة والنعيم، وجعل الثواب مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر..

والجنة لها ثمانية أبواب، لكل باب صنف من الناس يدخلون منه حسب أعمالهم، وعلى كل باب ملائكة ينادون المؤمنين بنداء الكرامة والبشرى.. وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

(الزمر / ٧٣)

وقد حرص رسول الله ﷺ أن يدعو المؤمنين إلى المسارعة إلى عمل الخير وخير العمل، وحببهم إلى ذلك ، فذات يوم قال ﷺ لأصحابه:

(من أنفق زوجين في سبيل الله نودى في الجنة يا عبد الله هذا خير) والمراد بالزوجين كل ما قرن بغيره، بحيث لا يقتصر الإنفاق على لون واحد أو صنف واحد، بل إن المسلم ينفق من كل شيء يملكه مالاً أو طعاما أو ثيابا أو آنية، قلّ ذلك أو كثر، بحيث يواصل الصدقة والإنفاق حتى يكون السخاء والكرم طبيعة فيه وسجية، وبذلك يحظى يوم القيامة بنداء الملائكة له ليدخل الجنة من باب خاص هو باب الصدقة.

ثم قال رسول الله ﷺ :

فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان.

فالمسلم الذى يواصل الصلاة فرضا ونفلا ويحافظ علـى خشـوعها وآدابـها حتـى تصبح الصلاة قرة عينه - تنادى عليه الملائكة ليدخل الجنة من باب الصلاة..

والمسلم الذى يدافع عن الحق ، ويجالد فى سبيل نصرة الدين، ويظل فى رباط ذودا عن العرض والشرف والقيـم - مثـل هـذا الشـخص يحظـى بـالنداء الملائكـى ليدخل الجنة من باب الجهاد..

والمسلم الذى يصوم رمضان ويكثر من نوافل الصيـام علـى مـدار العـام ويتحمـل العطش والظمأ - تنادى عليه الملائكة ليدخل الجنة من باب الريان.

ولما تكلم الرسول ﷺ مع أصحابـه بـهذا التوجيـه، ودفعـهم إلى العمـل الصـالح ورغبهم فى ثواب الله - ازداد شوقهم وتطلعوا إلى فضل الله وحفزهم ذلك إلى مزيد من العمل الصالح.. فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنـه: يـا رسـول الله مـا علـى أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟!

لقد سأل أبو بكر عن شخص جمع خصال الخير كلها، وحرص على فعل الـبر بأجمعه، وواصل مسيرة الطهر والنقاء ما عاش، فهل تنادى عليه الملائكة ليدخـل من أبواب الجنة كلها؟ هل تتسارع إليه الملائكة تكريمـا وتشـريفا ليدخـل مـن أى باب شاء؟

ولعل أبا بكر رضى الله عنه كان حريصا وشغوفا على كل عمل يقربه إلى الجنة والفردوس الأعلى..

عندئذ قال النبى ﷺ : **نعم وأرجو أن تكون منهم.**

رجل من أهل الجنة

يحدثنا أنس بن مالك أن الصحابة رضى الله عنهم نُهوا عن تتابع الأسئلة مع الرسول ﷺ، تلك الأسئلة التى قد تفتح عليهم أبوابا لا يطيقونها أو تلزمهم بواجبات ينوءون بحملها..

ولما تهيبوا الموقف كان يعجبهم أن يجىء الرجل العاقل من أهل البادية يسأل وهم يستمعون، فإن السائل دائما يسأل لنفسه وينتفع بالجواب كل من كان على شاكلته، والعلم سؤال وجواب..

وكان الرسول ﷺ يبعث المعلمين إلى الناس فى مواقعهم، يعلمونهم الدين وشرائع الإسلام حتى لا يشق عليهم بالحضور إلى مسجد الرسول فى المدينة المنورة..

وذات يوم جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . فقال النبى: صدق، ثم قال الأعرابى، فمن خلق السماء؟ قال النبى الكريم: الله، قال الأعرابى: فمن خلق الأرض؟ قال النبى الكريم: الله، قال الأعرابى: ومَنْ نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال النبى الكريم: الله.

وبعد هذه البداية الرائعة حقا قال الأعرابى: فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال النبى الكريم: نعم.

وهكذا اطمأنت عقيدة الرجل وقامت على اليقين، وتحققت له كلمة التوحيد وشهادة الإسلام – لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

ثم واصل الأعرابى تساؤلاته فقال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا، قال النبى الكريم: صدق، قال الأعرابى: فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال النبى الكريم: نعم.

قال الأعرابى: وزعم رسولك أن علينـا زكـاة فـى أموالنـا، قـال النبـى الكريـم: صدق، قال الأعرابى: فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال النبى الكريم: نعم.

قال الأعرابى: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قـال النبـى الكريم: صدق، قال الأعرابى: فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال النبى الكريـم: نعم. قال الأعرابى: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال النبى الكريم: صدق..

وهكذا كان الأعرابى حريصا على أن يتـأكد بنفسـه ممـا بلغـه مبعـوث الرسـول وتعلمه منه.

وكان الأعرابى على عقل رصين ومنطق دقيـق، فقـد واجـه النبـى ﷺ مواجهـة كريمة ورتب الأسئلة ترتيبا عجيبا واستحلفه على كل فريضة..

ولما أراد الأعرابى أن يعود من حيث أتـى قـال: والـذى بعثـك بـالحق لا أزيـد عليهن ولا أنقص منهن..

عندئذ قال النبى ﷺ: **لئن صدق ليدخلن الجنة..**

أعمال تدخل الجنة

كان الناس يأتون رسول الله ﷺ يسألونه عما يصلح دينهم ودنياهم، وعما ينفعهم في الأولى والآخرة، وكان الصحابة رضى الله عنهم أحرص الناس على ثواب الله وجنته، يتلمسون سبل النجاة من النار، والفوز بالجنة، فإن الجنة دار المتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال الله تعالى:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

(آل عمران / ١٨٥)

وقال جل شأنه:

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾.

(آل عمران / ١٥)

وذات يوم كان الرسول ﷺ فى سفر فجاء أعرابى فعرض للرسول الكريم وأخذ بخطام ناقته أو زمامها واستوقفه عن السير ثم سأل سؤالاً عجبا، فقال: يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار.

فتوقف النبى ﷺ ونظر فى أصحابه معجبا بالسؤال والسائل، وقال لهم: لقد وُفق أو لقد هُدى. أى أن الله تعالى وفق هذا السائل وألهمه هذا السؤال الذى يحقق له الفوز الأكبر..

وأخذ الرسول ﷺ يتأكد من اتجـــاه هـذا الأعرابـي وحرصـه فقـال لـه: كيـف قلت؟ فأعـاد الأعرابـــي ســؤاله مـرة أخـرى وقـال: أخـبرني بمـا يقربنـي مـن الجنة وما يباعدني من النار.

ولم يكن لرسول الله ﷺ حرس خاص أو حُجّاب يمنعون عنه الناس.

وكان ﷺ أسعد الناس بتبليغ رسـالة الله إلى خلـق الله، وبـدأ الرسـول الكريـم يرشد الأعرابى إلى أصول الدين وقواعد الإسلام وأخلاق الدين الحنيف..

فبدأ معه بتوجيهه إلى عبادة الله وحدة لا شريك، بحيـث يؤمـن أن الله وحـده هو الخالق الرازق المحيى المميت، مدبـر الكـون والكائنـات، وأن يفـرده سـبحانه بالدعاء والتوكل والاستعانة، ويلتزم بشرائع الدين وبخاصة إقامـة الصـلاة المكتوبـة وإيتاء الزكاة المفروضـة، وأن يحـرص علـى العلاقـات الاجتماعيـة النبيلـة فيصـل الأرحام ويحسن إلى الأقارب، ويزورهم ويتودد إليهم ويساعدهم..

وبعد أن وضح له الرسول الكريم ذلك، أمر الأعرابى أن يترك الناقة تسير، لقـد سأل الأعرابى سؤاله المهم عما يقربه إلى الجنة ويباعده عن النار.

وعندئذ قال النبى ﷺ:

تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتـى الزكـاة وتصـل الرحـم.. دع الناقة.

موقف تعليمى

بعث الله تعالى الرسول محمدا ﷺ معلما، يبين للناس الهدى والنور، ويشرح لهم بالقول والفعل أمور حياتهم، ويوضح حكم الله فيما يقع بينهم وما يحدث لهم، حتى تظل كلمة الله سارية بينهم، معروفة لهم..

وفى غزوة خيبر التى وقعت فى العام السابع للهجرة، وتم فيها جلاء اليهود عن الجزيرة العربية، وأثناء الرجوع من هذه الغزوة إلى المدينة المنورة ليلا. أراد الجيش أن ينال قسطا من النوم، فعسكر الجنود.. وقال الرسولﷺ لمؤذنه بلال بن رباح: اكلأ لنا الليل، أى ارقبه واحرص على وقت الفجر لتوقظنا حتى نصلى صلاة الصبح..

ونام الرسول القائد، واستغرق الصحابة فى النوم لفرط تعبهم، وقام بلال فصلى صلاة التهجد، ولما قارب الفجر استند بلال إلى راحلته حتى يحين موعد الفجر، فغلبته عيناه واستغرق فى النوم، فلم يستيقظ رسول الله ولا أحد من الصحابة حتى طلعت الشمس..

وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظا، ففزع لفوات صلاة الفجر، ونادى: أين بلال؟ فاستيقظ بلال واعتذر قائلا:

أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

أى أن النوم غلبنى ولم أستطع مراقبة الفجر فإن الجميع يومئذ كانوا متعبين من عناء السفر ومشقة الطريق..

ومعنى قوله: (بأبى أنت وأمى يا رسول الله) أى أفديك بأبى وأمى يا رسول الله، فإن الرسول الكريم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأهليهم وأموالهم..

ولما استيقظ الجيش كله أمرهم الرسول ﷺ أن يقتادوا رواحلهم ويتحركوا من هذا المكان وقال لهم: ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان.

وساروا إلى مكان آخر فعسكروا، وتوضأ رسول الله وأمر بلالاً فأذن ثم أقام الصلاة، والتقى الصحابة برسول الله فى صلاة جامعة، فصلى بهم الصبح فى هذا الوقت الذى أشرقت فيه الشمس وسطعت..

ولما قضيت الصلاة توجه الرسول ﷺ بالتعليم لأصحابه والمسلمين من بعدهم بأن الصلاة إذا فات وقتها المشروع لعذر من نوم أو نسيان قضاها المسلم ساعة تذكرها فإن الله تعالى لا يحاسب الإنسان عما يخرج عن استطاعته..

عندئذ قال النبى ﷺ: **من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: أقم الصلاة لذكرى.**

حسن الدعـاء

كان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه، إذا غابوا سأل عنهم، وإذا حضروا داعبهم، وإذا مرضوا عادهم، وإذا كانوا فى حاجة ساعدهم..

وصدق الله حيث يقول:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(التوبة / ١٢٨)

وذات يوم قام رسول الله ﷺ بزيارة رجل من المسلمين فوجده شديد المعاناة، ضعيف البدن، مصابا بهزال حتى صار مثل الفرخ..

فتعجب رسول الله ﷺ من حال هذا الرجل وسأله، هل كنت تدعو الله بشىء أو تسأله إياه؟

لقد استفسر الرسول من الرجل عن شىء عجيب، ولفته إلى شىء دقيق، لقد سأل الرجل عن موقفه من الدعاء، فالدعاء مخ العبادة، والدعاء قد يستجاب للمرء حسب دعوته أو حسب الحكمة الإلهية..

فقال الرجل: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا..

إن الرجل كان مشفقا من غضب الله، وكان وجلا من لقاء الله، وكان حريصا على أن يوافى القيامة طاهرا من الذنب، بريئا من المعصية، خالصا من الإثم..

وفكر الرجل فرأى أنه غير معصوم، وقد يكون ارتكب آثاما ومعاصى، فأحب أن يعاقب عليها فى الدنيا حتى يبرأ منها فى الآخرة، فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، فدعا الله تعالى أن يعجل له عقوبة ذنوبه..

وهذا التفكير له دلالته فى عمق الإيمان والحرص على الفردوس الأعلى، لكن الرسول ﷺ علمه معنى آخر أجمل وأرفق وأكمل، فإن الإنسان لا يتحمل عقاب الله العاجل أو الآجل، وعلى المرء أن يحسن نيته ويواصل مسيرة النقاء بقدر الطاقة ثم بعد ذلك يسأل الله الرحمة والعافية..

ولهذا قال ﷺ للرجل: سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه.. أى لا تطيق تعجيل العقوبة الإلهية فى الدنيا، واتجاهك إلى هذا اللون من الدعاء هو الذى جعلك هزيلا، ضعيف البنية، ودعا رسول الله للرجل بالشفاء العاجل فشفاه الله..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

أفلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

استحباب الرقيـة

الناس فقراء إلى الله فى كل لمحة ولحظـة، ولا وجـود لشـىء بغـير إرادة الله، والدعاء مخ العبادة وهو موقف ضراعة خاشعة أمام الله عز وجـل بحيـث يستشعر الإنسان عظمة الخالق المبدع، وجلال البـارئ المصـور، ويسـتمطر رحمتـه ويخشـى بأسه ويرجو غفرانه..

ومما هو جائز شرعا الرقية بمعنى أن يضع الإنسان يده على موضع الداء ويقـرأ كلمات طيبات سواء كانت من القرآن المجيد أو من الأدعية المأثورة عن رسـول الله ﷺ، ومن رحمة الله تعالى أنه جل جلاله يستجيب لدعاء المؤمنـين الصـادقين بمـا شاء وكيف شاء..

وكان رسول الله ﷺ إذا أتى مريضا يدعو له ويقول: أذهب الباس رب النـاس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما..

وكان ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين أى سورة قل أعوذ برب الفلَق، وسورة قل أعوذ برب الناس.

وأقر الرسول الرقية بفاتحة الكتاب، وأمر بعـرض الرقـى - التـى كـان يفعلـها الناس - عليه وقال: اعرضوا علىّ رقاكم، لا بأس بالرَقْى ما لم يكن فيه شرك.

والرقية لا تنافى الأخذ بالأسباب، فالمسـلم يـأخذ بأسـباب العـلاج ويسـعى إلى معرفة الأدوية التى يصفها الأطباء ويعتقـد أن الأمـر كلـه لله مـن قبـل ومـن بعـد، ويدعو الله دائما أن يمنحه الشفاء..

ويروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه، وهو أحد الصحابـة الأخيـار فيقـول: لدغت رجلا منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسـول الله أرقى؟!

إن الصحابة رضى الله عنهم كانوا على حرص كبير لمعرفة أحكام الدين فى كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتهم، وكانوا يغتنمون فرصة تواجدهم فى مجلس الرسول الكريم ليسألوه عما حدث لهم ووقع بينهم.. كى تطمئن قلوبهم إلى مرضاة الله عز وجل..

لقد أراد الرجل أن يستأذن رسول الله ﷺ فى الرقية ويعرف حكمها الشرعى، عندئذ قال النبى ﷺ:

من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل.

يسر العبادة وشمولها

هناك اصطلاح فقهى يقسم الشريعة إلى عبادات ومعاملات، وتعنى العبادة فى هذا الاصطلاح الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتعنى المعاملة البيع والنكاح والأقضية والحدود والمواريث.. الخ.

هذا اصطلاح فقهى، ولا مشاحة فى الاصطلاح لكن العبادة فى مفهومها الشرعى هى امتثال الأمر واجتناب النهى فى خضوع وضراعة، والأمر الشرعى له درجاته من الوجوب والندب، والنهى الشرعى له درجاته من الحرمة والكراهة..

وكل أوامر الله تعالى ونواهيه ملزمة للمكلف بدرجات الإلزام المختلفة، وهى فى مجموعها العبادة الشرعية، والدين كل لا يتجزأ.. فهو تنزيل رب العالمين الذى أحاط بكل شىء علما.

وقد اجتمع ثلاثة نفر من الشباب المسلم على عهد رسول الله ﷺ وأرادوا أن يبالغوا فى العبادة، وظنوا أن للرسول الكريم عبادة خاصة يؤديها فى بيته ولا يعلمها كثير من الناس..

هؤلاء النفر هم على بن أبى طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون رضى الله عنهم، ووجد هؤلاء الشباب أن سؤال زوجات النبى ﷺ عن العبادة الخاصة التى يؤديها الرسول فى بيته قد يلبى رغبتهم فى المغالاة..

فلما أخبرت الزوجات الطاهرات هؤلاء الشباب بعبادة الرسول الكريم فى بيته عدوها قليلة ثم عللوا هذا الفهم وقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..

وظن هؤلاء الشباب أن الباعث على العبادة ينحصر فى خوف العقوبة، ونسوا أن خوف الإجلال أعظم، وأن الإنسان المغفور له يجب أن يكون عبدًا شكورًا..

وهنا بدأ هؤلاء الشباب يخترعون ألوانا من العبادات ظنوها تقربهم إلى الله تعالى، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا..

فلما بلغ خبرهم إلى رسول الله ﷺ جاءهم وقال لهم: أنتم الذين قلتم كذا وكذا..

عندئذ قال الرسول الكريم:

أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم لله، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني.

كثرة الخُطا إلى المساجد

الحفاظ على الصلاة شعار المسلم، فإن الصلاة أحد أركان الإسلام، واختصها الله تعالى بشرف التشريع فى مناجاة علوية قدسية ليلة الإسراء والمعراج، وهى الفريضة التى تتكرر يوميا خمس مرات، قال الله تعالى:

﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.
(البقرة / ٢٣٨)

والمحافظة على الصلوات تكون بحسن الوضوء قبلها، والخشوع فى أدائها، ومراعاة آدابها، وأن تصلى فى جماعة، وحيث ينادى عليها فى المسجد، فإن أداء الصلاة جماعة فى بيت من بيوت الله هو من سنن الهدى..

ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم على عهد رسول الله ﷺ يحرصون حرصا شديدا على الصلاة خلف رسول الله ليكتسبوا ثوابا ما بعده ثواب..

فثواب الجماعة يزيد على ثواب الفرد بخمس وعشرين درجة أو بسبع وعشرين.

وثواب الصلاة فى المسجد النبوى يعدل ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وحيث يكون الإمام هو رسول الله فتلك منزلة رفيعة لها شأن كبير فى الدين..

ولم يكن يتخلف عن صلاة الجماعة يومئذ إلا منافق معلوم النفاق حتى إن الرجل يأتى إلى الصلاة وهو مريض يتحامل بين رجلين يعتمد عليهما حتى يقف فى الصف.. وبلغ من حرص الصحابة وحبهم للصلاة خلف رسول الله ﷺ أن بعضهم وهم بنو سلمة أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد النبوى لأن ديارهم كانت نائية فنهاهم الرسول ﷺ وقال لهم: دياركم تكتب آثاركم، أى الزموا دياركم حيث كانت فإن لكم بكل خطوة إلى المسجد درجة عند الله عز وجل..

وعندئذ قال الرسول

وكان رجل من الصحابة أبعد الناس عن المسجد، ومع ذلك لا تخطئه صلاة ويحرص على أن يتواجد فى المسجد كل صلاة رغم المشقة التى تعتريه من بُعد منزله، وأشفق عليه الصحابة فقيل له: لو اشتريت حمارا تركبه فى الظلماء وفى الرمضاء..

قال الرجل: ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد، إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد، ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى..

أى أن الرجل لديه شوق كبير إلى الصلاة مع رسول الله، وعنده الرغبة فى التحمل والمشى على قدميه مهما كلفه ذلك من مشقة، فالنفوس إذا كانت كبارا تعبت فى مرادها الأجسام، وتعجب الصحابة من قوة تحمل هذا الرجل، فأخبروا الرسول بما قال، فدعاه واستفسر منه عن وجهة نظره، فذكر الرجل أنه يرجو فى أثره (ممشاه) الأجر..

عندئذ قال النبى ﷺ : **قد جمع الله لك ذلك كله..**

وفى رواية: **إن لك ما احتسبت.**

أصحاب الأعمال وصلاة الجماعة

الإمامة فى الصلاة كالإمامة فى حكم الناس، كلاهما يقتضى الرفق بهم والشفقة عليهم، وأداء الواجب بلا مشقة ولا عنف ولا تقصير..

والإسلام يحبب الناس فى المساجد حتى يؤدوا الفرائض الخمس جماعة داخل بيوت الله فكلما حان وقت الصلاة وانطلق النداء الإلهى الخالد (الله أكبر الله أكبر) ترك الناس ما فى أيديهم من شواغل الحياة وأسرعوا لإجابة النداء ثم يعودون لمصالح حياتهم..

وكان معاذ بن جبل رضى الله عنه يصلى مع النبى ﷺ ثم يعود إلى قومه فى مكان بعيد عن مسجد رسول الله فيصلى معهم مرة أخرى ويؤمهم فى الصلاة، فلم يكونوا يستطيعون الحضور إلى المسجد النبوى، وكان لمعاذ فسحة من الوقت أو العمل فيذهب لأداء الصلاة مع النبى الكريم، ولا يحرم نفسه من تلك الصلاة المشهودة ثم لا يحرم قومه أيضًا من صلاة الجماعة، وهو يومئذ أقرؤهم لكتاب الله، فيؤمهم ويصلى إماما بهم..

وفى ليلة من الليالى صلى معاذ العشاء مع النبى ﷺ ثم أتى قومه وأمهم وافتتح بسورة البقرة وظل يقرأ فيها قراءة مطولة، فشق ذلك على من خلفه، فخرج رجل من الصلاة وانصرف عن الجماعة وصلى وحده.

فلما انتهت صلاة الجماعة وشعر الناس بما حدث من هذا الرجل قالوا: أنافقت يا فلان؟! وقال بعضهم: إنه منافق..

وظلوا يلومون الرجل على قطع صلاته خلف الإمام، وإتمامها منفردا، واتهموه بالنفاق، فشأن المنافق أن يأتى الصلاة بكسل وهمة ضعيفة ولا ينشط لها..ولكن الرجل كان مسلما صادق الإيمان، ولم يستطع أن يتحمل طول الصلاة وطول القراءة وطول الوقوف، فقال لمن حوله: لا والله لست منافقا وأصرّ على أن يأتى رسول

الله يخبره الخبر ويشكو إليه أمر معاذ، ولما وصل إلى الرسول الكريم قال: يارسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذا صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة..!!

لقد اشتكى الرجل إلى رسول الله وبيّن له أنه صاحب إبل يظل يسقى عليها النهار كله، فيناله التعب والنصب، ويريد أن يأوى إلى فراشه سريعا ليستريح، وهو حريص على صلاة العشاء في جماعة يختم بها يومه إلا أن معاذا يطيل الصلاة..

فعنف الرسول معاذا وأرشده إلى القراءة بقصار السور، وعندئذ قال النبي ﷺ:

يا معاذ أفتان أنت؟! اقرأ والشمس وضحاها، والضحى، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى.

آداب الصــلاة

الصلاة فريضة محكمة، يؤديها المسلم بخشوع وسكينة، ويتـهيأ لهـا بالطـهارة البدنية والقلبية، فيتوضأ ويحس الوضوء، ويستغفر من ذنبه ويتوب ثـم يقـف بـين يدى الله تعالى مستحضرا عظمة الله الكبير المتعال، ومرتلا للقرآن ومتأملا قراءته.. وخاشعا فى قلبه وجوارحه فلا يتحرك حركة لا تقتضيها الصلاة، ولا يفعـل فعـلا لا تتطلبه أركان الصلاة وهيئاتها، ويلتزم التزاما كاملا بأدب رسول الله ﷺ فيصلى كما صلى..

وذات يوم خرج الرسول ﷺ على أصحابه وهم يصلون فقال: (مالى أراكم رافعى أيديكم كأنها أذناب خيل شُمْس اسكنوا فى الصلاة).

وهذا توجيه نبـوى كريـم يتعلـق بـأدب الخـروج مـن الصـلاة والانتـهاء منـها، فالمشروع هو أن المسلم ينهى صلاته بالسلام قائلا السلام عليكم ورحمة الله مرة عن يمينه ومرة عن شماله..

لكن الرسول ﷺ وجد الصحابة يرفعون أيديهم عند السلام من الصلاة، فنـهاهم عن ذلك وشبه حركتهم هذه بأذناب الخيل المضطربة التى لا تستقر على حال.

ومـرة أخـرى خـرج الرسـول ﷺ علـى أصحابـه فرآهـم فـى المسـجد مجموعــة حلقات، لا ينتظمهم صف ولا يتراصون فى صلاتهم كالبنيان فقال لهم: مالى أراكم عزين؟! أى لماذا أنتم متفرقون؟

وهذا توجيه نبوى يتعلق بانتظام صفوف الصلاة وترابطها وانتظامها. وقــد كـان ﷺ عندما يؤم الناس للصلاة يسوى الصفوف ويقـارب بـين منـاكب المصلـين بيـده الشريفة ويقول لهم: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم..

ومرة ثالثة خرج رسول الله ﷺ على الصحابة وهم فــى المسجد فقـال لهـم: ألا تصفون؟ كما تصف الملائكة عند ربها؟

والمعنى ألا تقفون صفوفا متراصة لا عوج فيها ولا أمتا، كما تقف الملائكة صفوفا متراصة عند ربها..

وتساءل الصحابة وقالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟

عندئذ قال النبى ﷺ:

يتمون الصفوف الأول ويتراصون فى الصف..

التخفيف فى صلاة الجماعة

شرع الإسلام الصلاة جماعة فى المسجد لحكم كثيرة وفوائد عظيمة، فالمسلم يذهب إلى المسجد فى خشوع وخضوع فيكتسب حسنات بكل خطوة يخطوها، وهناك فى المسجد يلتقى بجماعة المسلمين يتعرف عليهم ويتودد إليهم ويجالسهم ويجتمع معهم على طهارة ونقاء، فإذا صلى تضاعف له الثواب أضعافا كثيرة، فصلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة أو بسبع وعشرين..

وصلاة الجماعة تعنى الاقتداء بإمام فقيه يعرف من الدين ويحسن من قراءة القرآن ما تصح به الصلاة ويؤهله لإمامة الناس فيقف خلفه المصلون فى صفوف متراصة، يتحركون بحركته ويسكنون بسكونه ويتتبعون كل أعماله فى الصلاة بحب وتوقير..

ومن واجب هذا الإمام أن يراعى المأمومين فلا يشق عليهم بتطويل قراءة أو ركوع أو سجود، وإنما تكون صلاته وسطا، بلا إخلال بما يجب لها، ومع المحافظة على آدابها..

وذات يوم جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا..

لقد اشتكى الرجل إمامه لرسول الله، فهو يطيل الصلاة حتى يعجز مَنْ خلفه، مما جعل هذا الرجل يتخلف عن صلاة الصبح جماعة فى المسجد، ويصليها فى بيته منفردا لأنه لا يستطيع مسايرة هذا الإمام فى صلاته الطويلة..

وقد غضب الرسول ﷺ غضبا شديدا، وتوجه بنصيحة عامة، ودعا المسلمين الذين يقفون أئمة للصلاة أن يتقوا الله فى المصلين خلفهم، ويسيروا بسير أضعفهم، وأن يراعوا المأمومين، فقد يكون فيهم رجال ونساء مرضى أو رجال

ونساء عجائز، أو رجال ونساء ذوو حاجة يريدون سرعة قضائها عقب الصلاة، وليس من الحكمة أن يقف المصلى مشوش الخاطر، موزع الفكر، وليس من الدين أن ننفر الناس من الصلاة جماعة فى بيوت الله.

إن الرسول الكريم بلغه شكوى الناس من بعض أئمتهم، وعندئذ قال النبى ﷺ:

يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمّ الناس فليوجز. فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة.

أدب الاقتداء فى الصلاة

صلاة الجماعة يؤديها المسلم خلف إمام يتقدم الصفوف فيقتدى به المصلون خلفه، لا يبدأون الصلاة إلا بعد أن يكبر الإمام تكبيرة الإحرام، ولا يركعون إلا بعد أن يركع، ولا يرفعون من الركوع إلا بعد أن يقول الإمام سمع الله لمن حمده، ولا يسجدون إلا بعد أن يكبر للسجود ويهوى إلى الأرض.. وهكذا فى كل حركات الصلاة لا يسبقونه فيها، فإنما جُعل الإمام ليأتم به المصلون..

وذات يوم كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس إماما، فلما قضى الصلاة أقبل على الصحابة بوجهه وقال:

أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإنى أراكم أمامى ومن خلفى..

لقد نصح الرسول ﷺ أصحابه بضرورة الالتزام بمقتضى الإمامة التى ارتبطوا بها، فلا يجوز أن يخلوا بشروطها، ونهاهم الرسول الكريم عن سبق الإمام فى أية حركة من حركات الصلاة أو أى فعل من أفعالها..

ونبههم الرسول ﷺ إلى حقيقة خاصة به كنبى يوحى إليه وكرسول مجتبى، فقد خصه الله تعالى بقدرة خارقة، هى أنه يرى مَنْ خلفه كأنه يقف أمامه، ويشاهد صفوف المصلين الذين يقتدون به، وقد لاحظ أن بعضهم يسبق الإمام ويخرج عن أدب صلاة الجماعة..

ولعل ما يتعلمه المسلم فى صلاة الجماعة يدفعه إلى النظام فى حياته العامة، ويجعله يحترم رؤساءه الصالحين ويلتزم بما يصدر عن حكامه المخلصين مما تصلح به الدنيا ويستقيم به المجتمع..

ثم بدأ الرسول ﷺ يحث الصحابة على ضرورة استحضار عظمة الله تعالى في الصلاة، وضرورة استشعار الغاية التى نعبد الله من أجلها أو خوفا منها، فإن الله تعالى قد بشر وأنذر، ورغّب ورهّب، وجعل الجنة مأوى المتقين، وجعل النار مثوى الكافرين.. ولهذا قال الرسول لأصحابه بعدما نهاهم عن سبق الإمام في الصلاة:

والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا..

فتساءل الصحابة وقالوا:

وما رأيت يا رسول الله؟

عندئذ قال النبى ﷺ :

رأيت الجنة والنار.

الزكاة
بين المنع والتقديم

الزكاة فريضة محكمة من فرائض الإسلام، جعلها الله تعالى طهارة للمال والنفس، حتى يكون المال مباركا وحتى تبرأ النفس من الشح والبخل، ويعيش الناس متكافلين متراحمين، قال الله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

(التوبة / ١٠٣)

وكان رسول الله ﷺ يهتم بهذه الزكاة اهتماما كبيرا، ويعين الولاة الذين يتولون جمع الزكاة من الأغنياء لتوزيعها على المستحقين من الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى في قوله:

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

(التوبة / ٦٠)

وذات يوم بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليجمع الصدقات فشاع بين الناس أن ثلاثة أفراد منعوا الزكاة ورفضوا إعطاءها لعمر، وهم: ابن جميل، وخالد بن الوليد، والعباس بن عبد المطلب، ورفع أمرهم إلى الرسول فبدأ يتفحص حال كل منهم ويعلن موقفه..

أما ابن جميل فكان رجلا فقيرا لا مال له، ثم أغناه الله تعالى، فلم يشكر ولم يعرف حق الله في المال ونسي حاله الأول، وتلك مأساة أخلاقية أن يتعامل الإنسان بمقياسين ويكيل بكيلين، إن كان له الحق طالب وألح في الطلب، وإن كان عليه الحق منع وماطل..

وأما خالد بن الوليد فمظلوم في هذه الإشاعة، فإن أمواله التي عنده من أسلحة وعتاد ودواب وغيرها ليست للتجارة وإنما قد جعلها وقفا خالصا لله تعالى، والمال الموقوف في سبيل الله لا زكاة فيه، فخالد بن الوليد لم يمتنع عن دفع الزكاة التي تمثل جزءا يسيرا من المال ولكنه دفع ماله كله في سبيل الله، فهو من الذين أحبوا الله حبا جما، وبذلوا أموالهم حسبة لوجه الله.

وأما العباس بن عبد المطلب فهو عم الرسول ﷺ، والعم والد، وليس يعقل أن يمتنع العباس عن دفع الزكاة الواجبة وإنما الذي خفي على الناس يومئذ هو أن العباس قد عجل زكاة أمواله وأعطاها للرسول مقدما عن سنتين قادمتين، وبهذا زال اللبس في شأن العباس وخالد..

عندئذ قال النبي ﷺ: **ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي عليّ ومثلها معها، ثم قال: يا عمر أما شعرت أ ن عمَّ الرجل صنو أبيه..**

الرفق فى الصيـام

تكليف الله تعالى لعباده مرتبط باليسر بلا مشقة ولا عسر، فإن العبادات منـاهج للتربية، تقوم على مراعاة الطبائع الإنسانية السوية..

قال الله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(البقرة / ٢٨٦)

وقال جل شأنه:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

(الحج / ٨٧)

ويحدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه، وهـو الـذى خـدم رسـول الله ﷺ عشر سنين فما وجد من الرسول الكريم إلا حسن الخلق والمعاملة المثلى..

يقول أنس: كان رسول الله ﷺ يصلى فى رمضان فجئت فقمت إلى جنبه، وجاء رجل آخر فقام أيضا حتى كنا رهطا..

أى أن الرسول ﷺ قام يصلى ليلا فى المسجد خلال شهر رمضان، فلمـا أحـس الصحابة بصلاة رسول الله أرادوا مشاركته فى هذا الخير، لأنهم كانوا أشد حرصا على حسن الاقتداء به فى كل ما يأتى وما يذر.. فقاموا خلفه حتـى اجتمـع عـدد كبير يصلى بصلاة رسول الله ﷺ.

يقول أنس: فلما أحس النبى ﷺ أنَّا خلفه جعل يتجوَّز فى الصلاة..

يعنى أن النبى ﷺ حين شعر بأن الصحابة يصلون خلفـه وائتمـوا بـه - جعـل الرسول يخفف فى قراءته وركوعه وسجوده واقتصر على ما تحسن به الصـلاة دون تطويل..

يقول أنس: ثم دخل رحله فصلى صلاة لا يصليها عندنا..

يعنى أن النبى ﷺ انتهى من صلاته فى المسجد على غير عادته، ودخل منزله وبدأ يصلى صلاة على مهل، بما يتحمله النبى المصطفى ويتناسب مع مكانته من ربه وقربه من مولاه.. فإن الناس مقامات، وأعلى مقام هو مقام النبوة، وبقدر علو المكانة يكون حسن العبادة، وبقدر معرفة المرء بالله تعالى تكون خشيته منه سبحانه..

لقد رفض رسول الله ﷺ أن يستمر فى صلاته مع الصحابة فى المسجد حتى لا يشق عليهم ولا تلزمهم بعد ذلك فيعجزون عن أدائها، وترك كل مسلم يؤدى من صلاة الليل ما تنشط همته له وما ينشرح صدره به..

ولهذا فلما أصبح الصباح أقبل الصحابة يسألون رسول الله عما حدث وقالوا: أفطنت لنا الليلة؟ يعنى هل أدركت أنا اجتمعا خلفك للصلاة ثم تركتنا ودخلت المنزل..

فقال رسول الله ﷺ: نعم، ذاك الذى حملنى على الذى صنعت.. يعنى أن اجتماعكم خلفى هو الذى حملنى على ترك صلاة الليل فى المسجد ودفعنى إلى أدائها فى البيت.

وفى هذه الأثناء أيضا كان رسول الله يواصل الصيام بمعنى أنه يصوم يومين فأكثر من غير فطر، وهذا مما اختص به رسول الله لأن قرة عينه فى العبادة تجعله أكبر من أن يحس بألم جوع أو عطش، وأراد الصحابة أن يواصلوا الصيام فنهاهم الرسول ﷺ لأن الوصال مقام يصعب الالتزام به ويشق على الناس وكان الرسول رفيقا بأمته رحيما بهم..

وأبى الصحابة أن ينتهوا فقام الرسول معهم بتجربة عملية فواصل بهم فى آخر الشهر حتى يثبت لهم ما يعتريهم من ملل فى العبادة وتقصير فى بعض المأمورات الشرعية والواجبات الاجتماعية..

لكن الوقت كان متأخرا فظهر الهلال فى آخر شهر رمضان بعد يومين من عملية الوصال، وبذلك انتهى الصيام..

وهنا ذكرهم الرسول ﷺ بأن المتشددين فى العبادة، المجاوزين للحد لا يستطيعون الاستمرار على هذه الحال، وسيعقب ذلك إرهاق وملل، وشأن المسلم أن يحافظ على العمل ويداوم عليه وإن قل..

عندئذ قال النبى ﷺ:

ما بال رجال يواصلون إنكم لستم مثلى ، أما والله لو تمادّ لى الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم..

الصوم فى السفر

شَرْع الله تعالى منوط بمصلحة الإنسان، والتكـاليف لم تشـرع للعسـر وإنمـا هـى مرتبطة بوسع الإنسان..

فعند فقد الماء أو تعذر استعماله يتيمم المسلم، وإذا لم يستطع الصلاة من قيام صلى من قعود أو اضطجاع، وإذا كنا على سفر جمعنا بين الظهر والعصر فى وقت إحدى الصلاتـين، أو بـين المغـرب والعشـاء فـى وقـت إحداهمـا، وأدينـا الصلاة الرباعية مثنى.. كل ذلك تخفيف من الله ورحمة..

كذلك فإن الصوم شـرعه الله تعـالى لتـهذيب النفـس، وتربيـة الإرادة، وتطـهير السلوك والرقى به إلى مستوى ملائكى كريم..

وإذا كان الإنسان مريضا أو على سفر جاز له الفطر فـى شـهر رمضـان، وعليـه قضاء أيام أخر بعد انتهاء العذر الذى منعه من الصوم..

وذات يوم جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال:

(يا رسول الله إنى صاحب ظـهر أعالجـه، أسـافر عليـه وأكريـه، وإنـه ربمـا صادفنى شهر رمضان، وأنا أجد القوة، وأجدنى أن أصوم أهون علىّ من أن أؤخره فيكون دينا علىّ).

أى أن هذا الرجل كان كثير السفر، وكان له جمل يسافر عليه، ويؤجره للناس فى رحلاتهم وتجاراتهم فهو أشبه بمن يملك اليـوم سـيارة أجـرة لركـوب النـاس وحمل أمتعتهم..

وأثناء سفرياته المتعددة يحل عليه شهر رمضـان، وهـو يسـتطيع أن يصـوم فـى السفر ولا يشق عليه ذلك، وقد أبدى للرسول ﷺ ملاحظة جديرة بالاعتبار، فـهو يرى أن صيامه فى السفر، أهون عليه من فطره، لأنه لـو أفطـر فـهو مطـالب بـأن

يقضى ما فاته من أيـام رمضان وبذلك تظل هذه الأيام دينا فى ذمته، وهو يريد أن يبرأ مما عليه ويؤدى واجباته الشرعية فى أوقاتها الأصلية طالما أنه لا يشق عليه، وأن طبيعة عمله تقتضى السفر المتواصل..

واستشار الرجل رسول الله فيما اختار لنفسه من الصيام فى السفر..

عندئذ قال النبى ﷺ :

إن شئت فصم وإن شئت فأفطر..

الأضحية

الأضحية هى الذبيحة من الإبل أو البقر أو الغنم، يتقرب بها إلى الله تعالى أيام عيد الأضحى المبارك وسميت بذلك لأنها تفعل فى الضحى، وهو ارتفاع الشمس فى أول النهار..

والأضحية تذكرنا بقصة الفداء لإسماعيل عليه السلام، عندما رأى إبراهيم الخليل فى المنام أنه يذبح ولده إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حق فلما هَمّ بتنفيذ رؤياه واستسلم كل منهما لقضاء الله – جاء الفداء من السماء بكبش عظيم..

والأضحية فى عيد النحر تقابل الزكاة فى عيد الفطر، مقصود بها التوسعة على المسلمين، والتكافل الاجتماعى بينهم حتى يعيشوا أيام العيد فى بهجة وسرور ومودة ورحمة..

وفى عام من الأعوام على عهد رسول الله ﷺ – كما تروى السيدة عائشة رضى الله عنها (دَفَّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله). أى حضر إلى المدينة جماعة من ضعفاء الأعراب ونزلوا على أهل المدينة فى أيام العيد طلبا للمواساة ورغبة فى أن يجدوا طعاما عندهم.. وشاع أن هؤلاء الأعراب فى المدينة فأصدر رسول الله ﷺ هذا الأمر: ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقى..

أى أن الرسول نصح المسلمين أن يأكلوا من لحوم الأضاحى ثلاثة أيام فقط ولا يزيدوا فى ادخار اللحوم على هذه الثلاثة وعليهم أن يتصدقوا بما بقى من اللحوم على فقراء المدينة وغربائها الذين وفدوا فى هذا الوقت..

فإن مجتمع المسلمين مجتمع متراحم يأخذ قويهم بيد ضعيفهم، ويبذل غنيهم لفقيرهم، وكل واحد منهم يؤثر الآخر على نفسه، ويعيش الجميع عباد الله إخوانا..

وظل المسلمون يلتزمون بهذا التوجيه النبوى بشأن لحوم الأضاحى، فلما انفرج الموقف واستقرت الأحوال وهدأت الأمور تساءل الناس عن حكم ادخار الأضاحى بعد ثلاثة أيام ورفعوا شكواهم إلى رسول اللهﷺ..

وحيث إن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، وحيث إن لكل موقف ما يناسبه فقد تغير الحكم وأصبح الأمر متروكا لكرم المتصدق وجوده، وكان من المستحب أن تكون الأضحية ثلاثة أقسام: قسم يهدى وقسم يتصدق به وقسم يؤكل ويدخر..

عندئذ قال النبى ﷺ:

إنما نهيتكم من أجل الدافة (جماعة ضعفاء الأعراب الذين يفدون إلى المدن)، فكلوا وادخروا وتصدقوا.

حكم الصيد أثناء الحج

إذا أحرم المسلم بالحج أو العمرة تجنب محظورات منها صيد البر الوحشى، فلا يحل له أن يصطاد أو أن يأمر بالصيد لقوله تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

(المائدة / ٩٦)

وإذا اصطاد الحاج أو المعتمر حيوانا بريا وحشيا وجب عليه كفارة هى ذبح مثله من الأنعام إن كان له مثل، فمن اصطاد نعامة وجب عليه ذبح بدنة، ومن اصطاد بقرة وحشية وجب عليه ذبح بقرة وهكذا، وإن كان الصيد مما لا مثل له كالجراد فإنه يتصدق بقيمته طعاما على فقراء الحرم..

وعلى كل فالمحرم بالحج أو العمرة مخير عند قتل الصيد بين ذبح الهدى، أو إطعام قيمته للفقراء والمساكين، أو الصيام أياما بعدد الفقراء الذين يمكن أن ينتفعوا بالهدى..

وإذا دعى المحرم بالحج أو العمرة إلى طعام صيد برى لم يباشره بنفسه ولم يأمر بصيده، أو أهدى إليه أو اشتراه فلا حرج فى ذلك شرعا وله أن يأكل منه.

وذات يوم كان الرسول ﷺ مع أصحابه فى مكة المكرمة، منهم المحرم ومنهم غير المحرم، وفى بعض طرق مكة تخلف أحد الصحابة وهو أبو قتادة مع أصحاب له محرمين، وكان هو غير محرم، فرأى حمارا وحشيا فقصد إلى صيده واستوى على فرسه، وسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه، فسألهم أن يناولوه رمحه فأبوا عليه، فهم قد رفضوا المشاركة فى صيد هذا الحيوان البرى لأنهم محرمون بالحج، فأخذ أبو قتادة يطارد الحيوان الوحشى حتى اصطاده،

وقدمه لأصحابه ليأكلوه، فأكل منه بعض أصحاب النبى ﷺ وأبى البعض الآخر أن يأكلوا بحجة أنهم محرمون فلا يصطادون ولا يأكلون من الصيد..

ثم التقى الجميع برسول الله ﷺ وعرضوا عليه الموقف وسألوه الفتوى فأباح لهم الأكل من الصيد طالما أنهم لم يصطادوه ولم يساعدوا فى صيده ولكنه قدم لهم هدية أو بيعا..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

إنما هو طعمة أطعمكموها الله.

وداعبهم قائلاً:

هل معكم من لحمه شيء..

النيابة فى الحج

حج رسول الله ﷺ حجة الإسلام فى العام العاشر للهجرة، واجتمع حوله مائة ألف أو يزيدون من الصحابة، يرددون فى جنبات الكون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك؛ وتكررت المواقف المأثورة والأقوال الحكيمة والتوجيهات الراشدة التى وجهها الرسول إلى أصحابه والمسلمين كافة..

وفى موقف كان الرسول يركب ناقته وخلفه الفضل بن العباس، وهو ابن عم رسول الله، فجاءت امرأة تستفتى رسول الله، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وتنبه الرسول إلى هذا فجعل يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، حاثًا له على غض البصر الذى يجب أن يكون خلقا عاما بين الرجال والنساء، فإن الله تعالى يقول:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(النور / ٣٠ : ٣١)

وكان سؤال المرأة عن الحج نيابة عن أبيها وقالت: إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟

إن المرأة كانت حريصة على بر والدها، وحريصة على أن ينال من ثواب الله ما يرفعه درجات فى الجنة، ويباعد بينه وبين عقاب الآخرة..

فهذا الرجل كان شيخا كبيرا ، لا يتمكن من الركوب على الدابة ولا يستطيع أداء الحج لشيخوخته، فالحج يجب على المستطيع ببدنه وماله، ولا يجب عند العجز البدني والمالى، لكن ربما يكون الإنسان مستطيعا بماله عاجزا ببدنه، فهنا يمكنه أن يستأجر شخصا أو يذهب أحد أقاربه ليقوم مكانه بأداء مناسك الحج، وكذلك يجوز الحج عن الميت سواء كان حال حياته مستطيعا أم غير مستطيع، فإن ذلك من البر الذى يصل ثوابه إلى الميت..

ويجوز أن يكون النائب فى الحج رجلا أو امرأة، وكل ما يشترط هو أن يؤدى النائب الحج عن نفسه أولاً، وفى عام آخر يؤدى الحج عن غيره، لأن الحج عن النفس والحج عن الغير لا يجتمعان فى عام واحد..

ومن البر بالآباء والأمهات قضاء ديونهما وأداء الحج عنهما والدعاء لهما.. ومهما حاول الأبناء الوفاء بحق الآباء فإنهم عاجزون ومقصرون، وسيظل للآباء الفضل دائما، وعلينا أن نعمل ونجتهد والله يتولى الجزاء، ونية المؤمن أبلغ من عمله.. فلتكن نياتنا صالحة ولنعمل بقدر ما نستطيع..

إن المرأة سألت عن الحج عن أبيها.. وعندئذ قال النبى ﷺ:

حجى عنه.

المرأة أثناء الحج

المرأة تشارك الرجل فى كافة العبادات، فتصلى وتصوم وتزكى وتحج، إلا أنها يعتريها الحيض والنفاس فتمتنع حينئذ عن الصلاة والصيام ثم إذا تطهرت قضت صيامها ولا تقضى صلاتها، لأن الصلاة متكررة يوميا خمس مرات فيصعب ويشق قضاء الصلاة الفائتة أثناء فترة الحيض والنفاس، أما الصوم فهو شهر كل عام ويسهل قضاء ما فاتها منه..

وإذا أرادت المرأة الحج فإنها تؤدى المناسك كما يؤديها الرجل وتختلف عنه فى أمور يسيرة، فإحرام الرجل يكون بالتجرد من المخيط ويلبس ثوبين أبيضين إزارا ورداء، وإحرام المرأة يكون بكشف وجهها وكفيها فقط وتلبس ملابسها المحتشمة المعتادة..

وإذا أصاب المرأة الدورة الشهرية فإنها ترجئ الطواف والسعى حتى تطهر، لأن الطواف كالصلاة يشترط له الطهارة، والسعى لابد أن يقع عقب طواف..

أما الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة فلا يشترط فيه الطهارة فيصح للمرأة أن تقف بعرفة حائضا ونفساء..

وعلى عهد رسول الله ﷺ وفى العام العاشر للهجرة خرج الرسول الكريم من المدينة المنورة ومعه أزواجه أمهات المؤمنين وحوله الصحابة الكرام ليؤدوا حجة الوداع، وحين اقترب الركب الميمون من مكة المكرمة وكانوا على قرب أميال فى مكان يقال له (سَرِف)- حاضت السيدة عائشة رضى الله عنها فغلبها الحزن، ودخل عليها رسول الله ﷺ فوجدها تبكى فقال: ما يبكيك؟ فقالت: والله لوددت أنى لم أكن خرجت العام، فقال: مالك؟ لعلك نفست، قالت: نعم.

لقد حزنت السيدة عائشة عندما جاءتها الدورة الشهرية وهى فى طريقها إلى أداء حجة الإسلام، وظنت أن ذلك يمنعها من الاستمرار فى أداء

المناسك ولكن الرسول الكريم طمأنها وبيّن لها أن الدورة الشهرية شىء طبيعى قد فطر الله النساء عليه، وأمرها أن تستمر فى المناسك ونهاها عن الطواف حتى تنتهى دورتها ثم تغتسل..

إن السيدة عائشة بكت حين جاءتها الحيضة، وعندئذ قال النبى ﷺ:

هذا شىء كتبه الله على بنات آدم، افعلى ما يفعل الحاج غير ألاَّ تطوفى بالبيت حتى تطهرى..

محرمات الإحرام

إذا أحرم المسلم بالحج أو العمرة بأن نوى من الميقات المكانى ولبى قائلا: اللهم إنى أحرمت بالحج أو العمرة أو هما معا، اللهم تقبله منى ويسره لى، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

منذ هذه اللحظة يتجنب الحاج أو المعتمر أشياء مثل لبس المَخيط أو المُحيط المعمول على قدر البدن أو عضو منه، ولا يغطى رأسه إن كان رجلا، ويمتنع عن استعمال الطيب بجميع أنواعه، ولا يلبس النعلين اللذين يغطيان الرجلين إلى الكعبين، ولا يقطع شجر الحرم، ولا يصيد حيوانه الوحشيّ.. ولا يتولى عقد النكاح لنفسه أو لغيره، ويظل المسلم متجردا من ذلك كله، يعيش بقلبه وقالبه مع الله تعالى فى أرضه المقدسة، ويستحضر ذكريات التاريخ منذ عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، عندما رفعا قواعد البيت الحرام ليكون مثابة للناس وأمنا..

وذات يوم جاء رجل إلى النبى ﷺ ، وكان معتمرا، ولم يكن الرجل يدرى أن الطيب حرام على المعتمر، ولم يكن يعلم أن ارتداء الملابس العادية لا يجوز أثناء الإحرام..

قدم الرجل وعليه جبة عليها خلوق أو أثر صفرة (نوع من الطيب)، فقال: يا رسول الله كيف تأمرنى أن أصنع فى عمرتى؟

ولم يكن الرسول ﷺ ينطق عن الهوى، ولم يكن يجيب إلا بوحى إلهى سابق أو لاحق..

ففى هذه اللحظة التى سأل فيها الرجل نزل الوحى على رسول الله ﷺ ، وكان لتلقى الوحى شدة ومعاناة، فأحيانا تعترى الرسول حالة يتفصد لها عرقا فى اليوم الشاتى، وأحيانا يعلو نَفَسُه ويتردد بشدة، ويكون له غطيط كغطيط البَكْر (صوت كصوت الفتى من الإبل).

وقد اعترت الرسول هذه الحالة الأخيرة بعدما سأل السائل، فلما سُرى عنه وانتهت لحظة الإيحاء، قال ﷺ : أين السائل عن العمرة؟ وأفتاه الرسول بأن يزيل أثر الطيب ويخلع جبته ويرتدى إزارا ورداء، ويجتنب باقى المحرمات، ولا شيء عليه لنسيانه، ويتم باقى المناسك..

فعندئذ قال النبى ﷺ :

اغسل عنك أثر الصفرة، واخلع جبتك واصنع فى عمرتك ما أنت صانع فى حجك..

العمرة فى رمضان

الله تعالى خالق الزمان والمكان، ومدبر الكون بأجمعه، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار، فقد فضل بعض الأماكن على بعض كالحرم المكى والحرم المدنى والحرم الأقصى..، وفضل الأزمان على بعض كشهر رمضان وليلة القدر والأشهر الحرم ويوم عرفة.. الخ، وفضل بعض الأنبياء على بعض كمحمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وفضل بعض الملائكة على بعض كجبريل وميكال.. وهكذا.

وأداء الطاعة والعبادة مقرونة بزمن فاضل أو مكان مفضل يفوق فى الثواب والأجر أداءها فى زمان أو مكان آخر..

فالصلاة فى المسجد الحرم بمائة ألف صلاة، وصيام يوم عرفة يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده..

وذات يوم قال النبى ﷺ لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: ما منعك أن تكونى حججت معنا؟

فالرسول الكريم كان يتفقد أصحابه، ويسأل عنهم، ويسعى فى حوائجهم، وفى حجة الوداع التى أداها الرسول ﷺ فى العام العاشر للهجرة، وكان معه مائة ألف أو يزيدون من الصحابة، لم ينس الرسول هذه المرأة، وعندما رجع إلى المدينة استفسر منها عما منعها من مشاركة المسلمين هذه الحجة العظيمة التى كانت تتويجا لأكثر من عشرين عاما من كفاح الدعوة الإسلامية..

وأجابت المرأة قائلة: ناضحان كانا لأبى فلان «زوجها» حج هو وابنه على أحدهما وكان الآخر نسقى عليه نخلا..

لقد بينت هذه المرأة أن هناك ظروفا حالت دون مشاركتها فى الحج مع رسول الله وهى أن زوجها يملك راحلتين، فأخذ واحدة يركب عليها هو وولده، وبقيت

راحلة فى المنزل مع هذه الزوجة تؤدى عليها عملا لا يحتمل التأجيل، وهو سقى النخل ورعاية موارد البيت.. فليس جائزا أن يحج الإنسان ويدع أهله بلا زاد..

ولما استشعر الرسول ﷺ قيمة عمل المرأة ونيتها الصالحة وإيثارها زوجها على نفسها نصحها الرسول الكريم بأن تؤدى عمرة فى شهر رمضان، فمن أدى عمرة فى هذا الشهر الفضيل كان له من الثواب والأجر، ما يعدل ثواب حجة مع رسول الله..

عندئذ قال النبى ﷺ :

فإذا جاء رمضان فاعتمرى فإن عمرة فيه تعدل حجة..

الحج فريضة العمر

الحج فريضة محكمة، جعلها الله تعالى خاتمة أركان الإسلام، وربطها سبحانه بالاستطاعة فى الزاد والراحلة وأمن الطريق، قال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

(سورة آل عمران – ٩٧)

والحج فريضة العمر بمعنى أن المسلم يؤديه مرة واحدة على سبيل الركن والفرضية فى حياته كلها، وما يتكرر بعد ذلك إنما هو على سبيل الندب والسنة..

ومما لا شك فيه أن للحج منافع روحية ومادية، ويكفيه على المستوى الفردى التجرد من حطام الدنيا، والإخلاص لله وحده، وصفاء القلب، واستشعار الملأ الأعلى..

وعلى المستوى الجماعى: التعارف الإسلامى، والتقاء قادة المسلمين على كلمة سواء هى لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. قال الله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

(سورة الحج – ٢٧ : ٢٨)

وذات يوم خطب رسول الله ﷺ أصحابه فقال:

أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا..

فالرسول الكريم هنا يبلغ كلمة ربه، ويوضح للناس ما يقربهم إلى الله ويصلح شئونهم، وقد كان الرسول ﷺ دائما وأبدا يخطب الناس فى الجمع والأعياد والمناسبات، وكلما جدت ظروف أو طرأ حادث يجمعهم ليحثهم على الخير ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر..

وخلال هذه الخطبة التى يبلغهم الرسول فيها حكم الله فى الحج وأنه فريضة، قام رجل وسأل الرسول هذا السؤال:

أكل عام يا رسول الله؟

لقد أراد الرجل أن يتأكد من أن فريضة الحج مرة واحدة فى العمر أم تتكرر بتكرر الأعوام..

ومن المعروف أن العمرة تتكرر فى العام الواحد بل قد تتكرر فى اليوم الواحد لأنها لا ترتبط بزمن معين..

أما الحج فيقع فى العام مرة واحدة، وتكراره إنما يكون بتكرار الأعوام لأنه مرتبط بزمن خاص هو تاسع ذى الحجة من العام الهجرى، فالحج عرفة..

وحين سأل الرجل هذا السؤال سكت النبى ﷺ حتى قالها الرجل ثلاثا..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم.

ثم قال:

ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه..

ثواب الله فى التسبيح

شأن المسلم أن يظل لسانه رطبا بذكرٌ الله تعـالى، لأن ذكـر الله بجلالـه وكمالـه يعين على استقامة السلوك وحسن العمل وإخلاص النية..

والمسلم يذكر الله تعالى على أحواله كلها فى السراء والضـراء، بـالليل والنـهار، وقد وصف الله جل شأنه أصحاب العقول النقيـة الصافيـة بـدوام الذكـر والتسبيح فقال:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

(سورة آل عمران - ١٩٠، ١٩١)

وذات يوم كان الرسول الكريم فى بيت السيدة جويريـة بنـت الحـارث إحـدى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن، فخرج من عندها بكرة حين صلـى الصبح وهـى فى مسجدها الخاص بها فى بيتها، فـإن مـن الخـير أن يكـون للمسـلم فـى بيتـه موضع للصلاة طاهر، يظل بمنأى عن النجاسات والضوضاء ومجالس اللغو..

وعاد النبى ﷺ إلى بيت زوجته السيدة جويرية فى الضحى بعد شروق الشـمس وارتفاعها، فرأى السيدة جويرية ما زالت جالسة فى مصلاها على طهارتـها تذكر الله تعالى وتمجده، وتحمده، وتثنى عليه الخير كله..

وقد سألها النبى ﷺ قائلا: مازلت على الحال التى فارقتك عليها؟!

قالت: نعم..

وقد كان النبى ﷺ حريصا على المؤمنين والمؤمنات، رءوفًا بهم رحيما، يخفف عنهم من الأعمال ما يشق، ويرشدهم إلى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة، ويذكرهم بما عظم ثوابه، ويخشى عليهم السآمة والملل، ويحذرهم من المغالاة، ويأمرهم دائما بالقصد والاعتدال..

وصدق الله حيث يقول:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

(سورة التوبة / ١٤٨)

ولهذا لما رأى النبى ﷺ زوجته قد طال مجلسها فى مسجدها ذكر لها بعض التسابيح التى لها شأن فى الثواب والفضل والعطاء الربانى، مع أنها لا تستغرق وقتا، وبيّن لها أنه قد رددها فى وقت قصير بنية صالحة وقلب خاشع، فعدلت ثواب ما عملته هى فى مدة مكثها الطويل من مطلع الفجر إلى ضحى الشمس..

فمدار الثواب الإلهى ليس على كثرة العبادة فى حد ذاتها ولكن على قلوب العباد، فرب كلمة صادقة مخلصة ينطق بها الإنسان تعدل فى ثوابها عملا يستغرق زمنا طويلا..

عندئذ قال النبى ﷺ:

لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته..

الرفق فى الدعــاء
وفضل «لا حول ولا قوة إلا بالله»

المسلم حريص على أن يكون صمته فكرا، وكلامه ذكرا، وإذا تكلـم المسلم كـان ذلك برفق ولين، يخفض صوته، ولا يزعج أحـدا، وقـد أمرنـا الله تعـالى بـالصوت الهادئ فى مواطن متعددة من القرآن المجيد، فقال الله جل شأنه:

﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

(سورة لقمان / ١٩)

وهذا التشبيه بصوت الحمير يجعل الإنسـان ينفـر نفـورا شـديدا مـن الصخـب والضوضاء والإزعاج..

وعندما نصلى ونعبد الله تعالى يظل للصوت الهادئ احترامه وتقديـره، فيقـول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾

(سورة الإسراء / ١١٠)

وذات يوم كان الرسول ﷺ فى سفر، فجعل النـاس يجـهرون بالتكبـير وكـانوا يصعدون فى ثنية، فجعل الرجل كلما علا ثنية نادى: لا إله إلا الله والله أكبر..

ويبدو أن الصوت كان مرتفعا جدا، وفيه تكلف شديد، ويصاحبه انفعـال قـوى حتى أجهد الناس..

فجمعهم رسول الله ﷺ وخطبهم قائلا:

أيها الناس اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعـون سميعا قريبا وهو معكم..

والمعنى الذى أراد الرسول الكريم توجيهه للمسلمين هو الرفـق وخفـض الصـوت فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان إذا كان يخاطب من لا يسمع لصمم فـى أذنـه أو لبعد فى مكانه، وأنتم أيها الناس إنما تدعون الله عز شأنه وتبتهلون إليه جل جلاله، وليس هو سبحانه بأصم ولا غائب بـل هـو السـميع القريـب، وهـو معكـم دائما بالعلم والإحاطة على جهة العموم وبالرعاية والعناية لـمـن أطاعـه علـى جهـة الخصوص..

فعليكم بالسكينة والهدوء وخفض الصوت فذلك أبلـغ فـى التوقـير وأدخـل فـى التعظيم، ما لم يرد عن الشرع إذن بالرفع كمـا فـى حـال النـداء للصـلاة المفروضـة وكما فى حال التلبية أثناء الحج والعمرة..

فإن الأذان يشرع بصوت عال حتى تتحقق الاستجابة للنداء والإسـراع للصـلاة، وإن التلبيـة تشـرع بصوت عال للرجال فقط فيرددون: لبيك اللهـم لبيـك، لبيـك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

وكان أحد الصحابة خلف رسول الله ﷺ وهو يعظ النـاس وينبهـهم إلى ضـرورة الرفق فى الدعاء، وكان هذا الصحابى واسمه عبد الله بن قيس.. يحوقـل ويقـول: لا حـول ولا قـوة إلا بـالله. أى تسـليما لله، وتفويضـا، واعترافـا بقوتـه، وإذعانـا لسطانه، فالأمر كلـه لله، وليـس يملـك الإنسـان مـن أمـر نفسـه شـيئا، فالحركـة والسكون بقوة الله، ودفع الشر وتحصيل الخير بقدرة الله..

فالتفت النبى ﷺ إلى هذا الصحـابى الـذى يـردد: لا حـول ولا قـوة إلا بـالله، وقال:

ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟

والكنز المراد هنا هو ثواب مدخر فى الجنة وعطاء نفيس يمنحه الله لأصفيائه.

فقال الرجل: بلى يا رسول الله ..

عندئذ قال النبى ﷺ:

قل لا حول ولا قوة إلا بالله..

مجالس الذكر

حياة الإنسان موقوفة على عمله للدنيا والآخرة، فـهو يسـعى باسـم الله لعمـارة الأرض واكتشاف أسرار الكون، لكى يعيش عزيز النفس ويلقى الله بصالح الأعمـال التى تجعل امتداد حياته فى نعيم الخلد..

والسعى لتحصيل مطالب الحياة الدنيا لون من طاعة الله عـز وجـل طالما كـان هذا السعى فى حلال مشروع ومن أجل العفاف والعفة، وطالما حرص الإنسان أثناء سعيه أن يؤدى العبادات المفروضة والطاعات الواجبة..

لكن لابد للإنسان من وقت يخلو فيه بنفسه أو مـع إخوانـه الطيبـين الطـاهرين لاستشـعار جـلال الله وكمالـه علـى وجـه خـاص يسـتجمع فيـه العقـل والقلـب ويستحضر الخشوع والتضرع، ويذكـر الله بقلبـه ولسـانه فيقـرأ القـرآن ويسـبح الله ويحمده ويمجده..

وذات يوم خرج الرسول ﷺ على مجموعة من أصحابه رضى الله عنهم اتخـذوا حلقة فى المسجد فسألهم قائلا: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ به علينا..

أى إنهم جلسوا مستشعرين لعظمة النعمـة التـى وفقـهم الله تعـالى إليـها، فقـد هداهم للإسلام ذلك الدين القيـم، ومنحـهم القـرآن ذلـك الكتـاب العزيـز الخـالد، وجعلهم أعزة بالدين الحـق بعـد أن كـانوا يعبـدون الأصنـام، ويـأتون الفواحـش، ويقطعون الرحم، ويسيئون الجوار، ويأكلون الميتة..

وأراد الرسول ﷺ أن يستوثق من غاية مجلسـهم وهدف اجتماعـهم فقـال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذلك؟

أى أن الرسول استحلفهم بالله أن هدف اجتماعـهم هـو ذكـر الله وحـده وتدبـر آلائه ونعمه..

فقالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك..

فاجتماعهم على البر والتقوى ، وليس اجتماعا على معصية، ولا لقاء على منكر، ولا صحبة على فحشاء، فقد تجردوا من كل شيء والتقوا بصفاء ومودة على هذا الهدف النبيل..

وهذا اللقاء على الطاعة، والصحبة على البر لله وفي الله هو أرقى أنواع العلاقات الاجتماعية وأطهرها وأبقاها، ولهذا قال الله تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

(الزخرف / ٦٧ : ٧٠)

وحين يجلس المسلم مع أخيه المسلم يذكر الله على نعمائه يتجلى الله تعالى عليهم بالخير العميم ويمنحهم الثواب الجزيل ويظهر فضلهم لملائكته في الملأ الأعلى..

ولهذا لما جلس هؤلاء الصحابة في المسجد يذكرون الله وعلم الرسول الكريم شرف غايتهم.. عندئذ قال النبي ﷺ:

أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة..

الفصل الرابع

فى الأسـرة

- من آداب الزواج
- تيسير الزواج
- وجهة نظر
- سلوكيات المرأة المسلمة
- زينة المرأة لزوجها
- تعاون المرأة مع زوجها
- حماية الأعراض
- التحريم بالرضاع
- التسوية بين الأبناء
- خاتم الذهب ولباس الحرير
- الزوج البخيل
- فضل رعاية البنات
- حسن الصحبة للوالدين
- جريمة سب الوالدين
- نظافة البيت
- العدل مع الخادم
- حد الزنـا
- الطلاق السنى
- عدة النساء
- الوصية فى التركة

من آداب الزواج

الزواج فى الإسلام قائم على المودة والرحمة، وهو شطر الدين، لأن الإنسان رجلا كان أو امرأة - يعف عن الحرام، ويؤدى دوره فى استمرار الوجود الإنسانى..

والإسلام يوجه الناس إلى ضرورة اللقاء بين الرجل والمرأة باسم الله، وتحقيق الهدف بأيسر طريق وأقل تكلفة، كما يؤكد ضرورة رضا الطرفين عن هذا الزواج، لأنه بهذا الرضا يعمق الحب وتستديم العلاقة..

وقد جعل القرآن المجيد الزواج آية من آيات الله فقال:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

(سورة الروم / ٢١)

وذات يوم جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى تزوجت امرأة من الأنصار؛ وكان الصحابة رضى الله عنهم يعرضون أمورهم كلها على رسول الله ﷺ، ويشاورونه فى حياتهم بأجمعها، ويستمعون إلى نصائحه وتوجيهاته، فالنبى أحرص عليهم من أنفسهم وأحنى عليهم من والديهم، وأرحم بهم وأشفق..

فقال له النبى: هل نظرت إليها، فإن فى أعين الأنصار شيئا..؟

لقد أراد النبى ﷺ أن يتم هذا الزواج عن رغبة أكيدة واقتناع كامل، واطمئنان إلى صلاحية الطرفين للزواج من غير خداع أو تزييف..

لقد نبه الرسول ﷺ هذا الرجل إلى ضرورة التأكد من سلامة هذه المرأة المخطوبة مما يعيبها أو يعكر عليه صفو حياته مستقبلا..

والمراد بقوله: (فإن في أعين الأنصار شيئا) أن بعض نساء الأنصار تكون عيونهن صغيرة أو بها زرقة قد لا ترضى الزوج، فعليه أن يَقبل المرأة باقتناع، ويرى ما هى عليه فى الواقع حتى لا يفاجأ بعد ذلك..

ولهذا كان من أدب الدين رؤية الخاطب للمخطوبة فذلك أدعى لرباط الحب بينهما..، ثم سأل النبى هذا الرجل عن الصداق الذى قدمه لهذه المرأة، فقال له: على كم تزوجتها؟، ومن المعلوم أن الصداق ركن من أركان الزواج، وهو حق للمرأة ما لم تتنازل عنه أو عن بعضه عن طيب خاطر، قال الله تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

(النساء / ٤)

وذكر الرجل قدر الصداق فقال: على أربع أواق..

وتعجب الرسول من قدر هذا الصداق، ونبه إلى كراهة المغالاة فى المهور لأن المال يأتى بشق الأنفس..

عندئذ قال النبى ﷺ : **على أربع أواق!! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل..!!**

تيسير الزواج

الشباب في حاجة لأن يلبوا غرائزهم فى إطار شرع الله ودينه، وعلى أولياء الأمور أن ييسروا الزواج الشريف حتى يتسنى للفتيان والفتيات أن يعيشوا عيشة مرضية بعيدة عن التسول الجنسى وأمراض النفس، فالزواج سكن ومودة ورحمة..

ولا حرج شرعا أن تعرض المرأة نفسها رغبة فى الزواج من شخص تطمئن إلى دينه وخلقه طالما كان ذلك فى إطار العفاف والشرف وصيانة الأعراض..

وقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسى، أى أنها تريد الزواج من الرسول الكريم، فنظر إليها الرسول فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رأسه، اى أن الرسول رفع نظره إلى المرأة ثم خفضه وسكت سكوتا تفهم منه السائلة الرفض دون أن يخجلها بالمنع.. فلما رأت المرأة أنه لم يقصد فيها شيئا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها.

فقال الرسول: فهل عندك من شيء؟ أى هل تملك مهرا تدفعه لها؟

فقال الرجل: لا والله يا رسول الله، فقال الرسول الكريم: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا، فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئا، فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتما من حديد، أى ليس شرطا أن تقدم مهرا كبيرا بل قدم شيئا يسيرا حتى ولو كان خاتما من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزارى فلها نصفه، وكان الرجل لا يملك من حطام الدنيا إلا هذا الإزار الذى يستر به عورته، فتعجب الرسول من هذا العرض الذى قدمه وقال له:

ما تصنع بإزارك إن لبسْتَه لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسَتْه لم يكن عليك منه شيء..

فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ موليا فأمر به فدعى، فلما جاء قال له الرسول الكريم: ماذا معك من القرآن؟ أى ماذا تحفظ من القرآن؟

قال الرجل: معى سورة كذا وسورة كذا .. وأخذ يعدد السور التى يحفظها، فقال الرسول للرجل: تقرؤهن عن ظهر قلب؟

قال الرجل: نعم.

عندئذ قال النبى ﷺ: **(اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن).**

وفى رواية: **(انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن).**

وجهة نظر فى اختيار الزوجة

مما لا شك فيه أن الإنسان الشاب فى حاجة إلى الزواج كى يعف نفسه ويسكن إلى امرأة تقوم على شئونه وترعى بيته وتحفظ غيبته فى ماله ونفسها..

وحين يختار الرجل زوجته يضع فى اعتباره أمورا يهدف إليها، ولكى تستمر الحياة الزوجية وتؤتى ثمارها الطيبة المباركة لابد أن يكون المنطق للاختيار هو الدين والخلق، وبغير هذا الأساس لا تستقيم الحياة..

ولا مانع شرعا من اعتبار أمور أخرى بعد ذلك قد تكون جمالاً أو مالاً أو منفعة أو غيرها.. وقد تكون المرأة بكرا أو ثيبا، وقد تكون أرملة أو مطلقة، يختار الرجل ما يراه مناسبا محققا لمصلحته..

وتروى كتب السنة الصحيحة أن جابر بن عبد الله الأنصارى حين أراد الزواج تزوج ثيبا مع أنه شاب صالح فى مقتبل العمر..

وجاء هذا الشاب الأنصارى ليخبر رسول الله ﷺ بأمر زواجه فقد كان المسلمون يعرضون أمورهم العامة والخاصة على الرسول الكريم ويستشيرونه فى حياتهم كلها..

فاستفسر الرسول ﷺ من هذا الشاب الأنصارى عن هذه المرأة التى وقع اختياره عليها.. أثيب هى أم بكر؟، فقال جابر: بل ثيب.

فنبهه الرسول ﷺ إلى فضل تزوج الأبكار لمن كان فى مثل سنه وقال له: فأين أنت من العذارى ولعابها (من الملاعبة)، فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك أو قال: تضاحكها وتضاحكك؟!

هنا أفصح جابر بن عبد الله الأنصارى عن سر اختياره لهذه المرأة الثيب فقال: يا رسول الله إن عبد الله هلك وترك تسع بنات وإنى كرهت أن آتيهن بمثلهن فأحببت أن أجىء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن.

لقد شرح جابر وجهة نظره، لقد مات أبـوه وأمـه وأصبـح هـو العـائل لأخواتـه البنات وكن تسعا، وكره أن يتزوج بكرا فى مثل سن أخواته البنات فـلا تسـتطيع القيام بشئون هؤلاء الأخوات فبحث عن امـرأة ثيـب خـبرت الحيـاة تكـون كـالأم لأخواته ترعى شئونهن وتصلح أحوالهن..

هنا استبشر الرسول خيرا لما رأى من فضيلة جابر وإيثاره مصلحة أخواته علـى حظوظ نفسه، ولما وجد من امرأته التـى رضيـت أن تقـوم بخدمـة زوجـها ورعايـة أخواته.

عندئذ قال النبى ﷺ: **فبارك الله لك.**

سلوكيات المرأة المسلمة

المرأة فى الإسلام لها كرامتها وعفافها بحيث تظل مصونة، بعيدة عن القيل والقال، فلا يجترئ أحد على إغرائها أو خداعها أو النيل منها..

من أجل هذا حدد الإسلام للمرأة زيا معينا يستر جميع بدنها، فلا يشف ولا يجسم، ويغطى شعرها ورأسها، ولا يُظهر من بدنها إلا الوجه والكفين بالصورة الطبيعية التى خلقهما الله عليها من غير وضع مساحيق أو ما يلفت الأنظار..

وليس المراد مجرد زى ترتديه المرأة بل لابد أن تتربى النفوس على الشرف والعفة، بحيث يدل المظهر على المخبر، ويلتقى القلب والقالب على تقوى الله تعالى ورضوانه.

وفى إطار هذا المعنى وقف الرسول ﷺ خطيبا يقول لأصحابه:

لا يخلُوَنَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم.

يريد الرسول الكريم أن يعلم المسلمين أدب العلاقة بين الرجل والمرأة، فلا يجوز أن يجلس رجل وامرأة على انفراد بعيدا عن الأهل، لأن الشيطان ينزغ بينهما ويحدثهما حديث الإثم الذى يجر إلى رذائل أخلاقية تضر بهما وبالمجتمع..

كذلك لا يجوز أن تسافر المرأة وحدها سفرا طويلا، لأنها بذلك تعرض نفسها لذئاب البشر يلوثون سمعتها وينالون من عرضها وقد يخدعونها وتميل إليهم فى غيبة الضمير وفى غيبة من يهمه أمرها..

ويستثنى الرسول ﷺ من حرمة الخلوة والسفر ما إذا كانت المرأة مع ذى محرم، فيجوز حينئذ السفر والجلوس معها فى أدب ووقار..

والمراد بالمحرم من يحرم عليه الزواج منها كأبيها وابنها وأخيها وابن أختها وغيرهم، أو بحضور زوجها أو بحضور نسوة ثقات معها..

فلما نهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالأجنبية وسفر المرأة وحدها قام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا..

أى أن الرجل سمح لزوجته بالذهاب إلى الحج دون محرم لأنه مشغول بالمشاركة فى الجهاد مع رسول الله.، ويستشير الرجل الرسول فى هذا الموقف فأفتاه الرسول بضرورة الذهاب مع زوجته لأداء الحج، وألا يتركها تذهب وحدها، وعليه أن يعتذر عن الجهاد فإن الأمور المتعارضة يقدم الأهم منها على المهم، فلما تعارض سفره فى الغزو مع الحج معها رجح الحج معها لأن الغزو يقوم غيره فى مقامه بخلاف الحج معها فليس هناك بديل..

عندئذ قال النبى ﷺ : **انطلق فحج مع امرأتك**..

زينة المرأة لزوجها

العلاقة الزوجية فى الإسلام قائمة على المودة والرحمة، ومن أدب الإسلام حسن الأخلاق بين الزوجين بحيث يتودد أحدهما للآخر، ويسعى لإرضائه، ويحرص على سروره، فإن الأسرة هى مملكة الزوجين، والسعادة فيها هى السعادة الكاملة.. قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

(الروم / ٢١)

وقد ندب الإسلام المرأة أن تكون دائما حريصة على ما يقربها إلى زوجها، ويجعلها محل إعجابه بحيث تكون على طهارة قلب، وحسن مظهر، وأمانة سلوك، وعفة عرض..

وذات يوم كان الرسول ﷺ فى غزوة خارج المدينة، ومكث بجيشه فترة زمنية انقطع فيها أخبارهم عن المقيمين بالمدينة، فلم تكن هناك إذاعة ولا صحافة ولا وسائل إعلام تنقل الحدث أولا بأول، ودقيقة بدقيقة كما هو الحال اليوم..

فلما قدم الجيش الإسلامى إلى مشارف المدينة وعاد من مهمته المقدسة أرادوا الدخول مباشرة شوقا إلى أهليهم وذويهم، ولكن الرسول الكريم نصحهم بالإقامة على حدود المدينة حتى يقضوا وقتا يمكن لخبر العودة أن ينتشر ويشيع داخل المدينة فلا يفاجأ أحد بعودتهم، وتبدأ الزوجات فى الاستعداد للقاء أزواجهن..

فتستعد كل زوجة بأحسن هيئة وأطيب رائحة وأجمل منظر حتى تدخل السرور على زوجها العائد، فتمتشط المرأة وتسرح شعرها وترجله وتستحد بمعنى

تزيل الشعر من المواضع المعتاد إزالته من جسد المرأة حتى تبدو بجمالها أمام زوجها فتسعده وتسعد به..

ولكن النساء اليوم قلبن الآية فأصبحت المرأة لا تعبأ بالزينة مع زوجها وتهمل نفسها فى بيتها فإذا أرادت الخروج تعطرت وتزينت وارتدت أحسن حللها لتبدو أمام الأجانب ولتجالس الرجال فى غيبة زوجها ومحارمها، وهذا ضلال كبير..
قال الله تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾.

(النور / ٣١)

إن الرسول ﷺ حين قدم بجيشه وأرادوا الدخول فجأة نصحهم ﷺ بالتمهل والتريث، ولما سألوا عن الحكمة عندئذ قال النبى ﷺ: **أمهلوا حتى ندخل ليلا- أى عشاء - كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة.**

تعاون المرأة مع زوجها

الحياة الزوجية قائمة على التعـاون، وقانونـها المعـروف والإحسـان، وإذا كـان الرجل هو المسئول شرعا عن النفقة على الأسرة فإن ذلك لا يمنع أن تشـارك المـرأة زوجها وتساعده طالما كان ذلك ميسورا لها وفى حدود اسـتطاعتها، فـإن مـن الـبر والوفاء أن يتعاون الرجل والمرأة فى تحمل المسئولية الأسرية..

وقد وجه الرسـول ﷺ نـداء إلى النسـاء بالصدقـة ومسـاعدة المحتـاجين وقـال: تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليكن..

فإن الرسول الكريم كان يخص النساء أحيانا بالتوجيه ويجعل لهن يوما يسألنه بعيدا عن الرجال.. وكانت النساء المسلمات يومئذ أسرع إلى الاستجابة لنداء الحـق والواجب.

وذات يوم رجعت إحدى النساء وهى زينب امرأة عبـد الله بـن مسـعود فقـالت لزوجها: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزى عنى وإلا صرفتها إلى غيركم..

أى أن المرأة هنا أشـفقت علـى زوجـها، فـهو فقـير وعندهـا مـال، وتريـد أن تحظى بثواب الله، فأرادت أن تستفسر من الرسول ﷺ عــن إجـزاء الصدقـة علـى زوجها المحتاج أم أن من الأفضل إخراجها للآخرين المحتاجين..

وطلبت المرأة من زوجها أن يأتى رسول الله ويسـأله، ولكـن الرجـل رفـض أن يقوم بهذه المهمة وقال لها: بل ائتيه أنت..

واستجابت المرأة لزوجها وانطلقت إلى بيت رسول الله ﷺ فوجـدت امـرأة مـن الأنصار واقفة بالبـاب، لهـا نفـس حاجتـها، جـاءت تسـأل عـن نفس القضيـة، واسـتحيت المرأتـان أن يوجـها السـؤال مباشـرة إلى رسـول الله فقـد ألقيـت عليـه المهابة..

وخرج على المرأتين بلال بن رباح مؤذن الرسول، فعرضتا عليه السؤال وقالتا له: ائت رسول الله فأخبره أن امرأتين بالباب يسألانك أتجزى الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما؟

وطلبت المرأتان من بلال ألاَّ يخبر رسول الله عنهما؟ فدخل بلال وعرض السؤال على الرسول الكريم، فقال له الرسول ﷺ: من هما صاحبتا السؤال؟

قال بلال: امرأة من الأنصار وزينب.

فقال الرسول: أى الزيانب؟

يعنى أن من تسمين باسم زينب كثيرات من الصحابيات..

فأفصح بلال عن أنها زينب امرأة عبد الله بن مسعود.

وقد أفتى الرسول ﷺ بأن الصدقة على الزوج الفقير والأبناء اليتامى المحتاجين يضاعف الله تعالى ثوابها فهى صدقة وصلة رحم والأقربون أولى بالمعروف..

عندئذ قال النبى ﷺ :

لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة.

حماية الأعراض

الحياة الأسرية لها قيمها وشرفها، وأمانة الحياة تقتضى أن يعيش الرجل مع زوجته باسم الله وكلمته، يعفها وتعفه دون أن يبتغى وراء ذلك سبيلا..

وقد حرم الإسلام الزنا ومقته وعاقب عليه أشد العقاب، حتى تظل الأعراض مصونة، وحتى تظل الروابط الأسرية قوية متينة..

وذات يوم جاء رجل من قبيلة أسلم يقال له – ماعز بن مالك – جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى أصبت فاحشة، وشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى، فرده النبى ﷺ مرارًا وهو يقول: لعلك قبلت، لعلك غمزت، والرجل يقول والله إنه قد زنى..

ثم قال له الرسول ﷺ: أبك جنون؟ قال: لا، قال الرسول: فهل أحصنت؟ أى تزوجت من قبل، قال: نعم، ثم سأل الرسول ﷺ قومه وأهله عن سلامة قواه العقلية ومدى وعيه بأفعاله فقالوا: ما نعلم به بأسا إلا أنه أصاب شيئا يرى أنه لا يخرجه منه إلا أن يقام فيه الحد..

إن الرجل قد ندم ندما كبيرا، وأسف أسفا بالغا، واستيقظ الإيمان فى قلبه فأصر على أن يطهر بدنه بإقامة الحد فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة..

وأمام هذا الإصرار أمر النبى ﷺ أصحابه أن يرجموا الرجل، فمن المعروف فى الشريعة الإسلامية أن الزانى المحصن الذى سبق له الزواج يرجم حتى الموت، وأن الزانى غير المحصن يجلد مائة جلدة..

وانطلق الصحابة بالرجل إلى مكان يسمى بقيع الغرقد ، وانهالوا عليه بالعظم وقطع الحجارة الصغيرة وقطع الفخار المنكسر يرمونه بها، فلما اشتد عليه الرمى بدأ يجرى لأنهم لم يوثقوه ولم يحفرو له، فاشتدوا خلفه حتى أتي عرض الجبل فأسلم نفسه ورموه بالحجارة حتى مات..

إن هذا العقاب يتناسب مع فعلته الشنعاء، لقد تخلف الرجل عن الجهاد مع رسول الله ﷺ وبدأ يعبث بأعراض نساء المجاهدين، وتلك مأساة عميقة، فكيف يخرج الرجل مدافعا عن الدين والحرمات ثم يعود فيجد أن رجلا آخر قد اعتدى على ابنته أو أخته أو زوجته أو أمه..

إن هذا الوضع لو استشرى فى مجتمع فهيهات هيهات أن يستقيم أو أن يشعر بالسعادة والأمان..

إن أقدس ما فى الحياة الاجتماعية أمانة العرض وأمانة الحياة الزوجية، ومن أجل هذا فبعدما رجم الزانى، عندئذ قام النبى ﷺ خطيبا وقال: أو كلما انطلقنا غزاة فى سبيل الله تخلف رجل فى عيالنا له نبيب كنبيب التيس..

وأخذ النبى ﷺ على نفسه عهدا فقال: **علىّ ألاً أوتى برجل فعل ذلك إلا نكلت به..**

التحريم بالرضاع

من الأحكام الشرعية التى اختص بها الإسلام – التحريم بالرضاع، بمعنى أن المرأة إذا أرضعت طفلا أجنبيا صار كولدها فى حرمة التزوج منها وجواز الخلوة بها والسفر معها، ولا يترتب على الرضاع أحكام الأمومة من كل وجه فلا يتوارثان، ولا يجب على أحدهما نفقة الآخر، ولا ترد الشهادة لأحدهما، فهما أجنبيان فى هذه الأحكام..

وحرمة التزوج هذه ثابتة من جهة الرضيع له وحده، وتنتقل الحرمة من المرضعة إلى أصولها كأبيها وأمها ومن فى حكمهم من الجدات والأجداد، وتنتقل الحرمة من المرضعة إلى أبنائها جميعا ومن تناسل منهم، وتنتقل أيضا إلى إخوة المرضعة وأخواتها..

والتحريم بالرضاع محاط بضوابط خاصة، وهى – فى المشهور للفتوى –: خمس رضعات مشبعات، فلا تحرم المصة والمصتان، وتكون هذه الرضعات متفرقات، فترك الثدى دون شبع ثم العودة إليه عن قريب يعد رضعة واحدة..

كذلك يراعى فى حكم التحريم بالرضاع أن يكون فى مدة الحولين الأولين للرضيع، لأنها تنشىء اللحم وتنشز العظم..

وتحكى السيدة عائشة رضى الله عنها واقعة حال على عهد رسول الله ﷺ تتعلق بزوج المرضعة، هل يعد أبا للرضيع؟ وهل يعد إخوة زوج المرضعة وأخواته أعماما وعمات؟

إن السيدة عائشة أم المؤمنين رضعت من امرأة رجل يسمى أبا القُعيس، وتدور الأيام، وتكبر عائشة وتنتقل إلى بيت النبى ﷺ ويأتيها رجل يستأذن فى الدخول

عليها، إنه يسمى (أفلح) وهو أخ لأبى القعيس، فترفض السيدة عائشة أن تأذن له فى الدخول إلى حجرتها فى غيبة رسول الله ﷺ لأنها رضعت من المرأة ولا علاقة لهذا الرجل بتلك المرأة المرضعة.

وظنت عائشة أن التحريم قاصر على زوج المرضعة ولا يتعداه إلى إخوته، وسألت السيدة عائشة رسول الله ﷺ، عندئذ قال النبى ﷺ:

لا تحتجبى منه فإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب..

التسوية فى العطاء بين الأولاد

الأولاد فى حجر آبائهم أمانة، يجب تنشئتهم على منهج التربية الإسلامية حتى يجمع الأسرة كلها شعور الحب والمودة والصفاء..

وعلى الآباء والأمهات أن يغرسوا فى أبنائهم كل ما يؤدى إلى الألفة والاجتماع والتعاون..

وإذا كان للرجل أبناء من زوجات متعددات فيجب أن يوزع حبه على أولاده جميعا، وأن يسوى بينهم فى العطاء حتى لا يورث بينهم الحقد والشحناء..

وعلى عهد رسول الله ﷺ حدث أن عَمْرة بنت رواحة تزوجت بشير بن ثعلبة، وكان له أولاد من غيرها، فولدت له النعمان، ثم أرادت أن يخصه أبوه بعطاء، فمنحه غلاما مملوكا بعد مرور عام من إلحاحها فأرادت هذه الأم أن تشهد رسول الله ﷺ على هذه العطية وتلك الهبة التى استأثر بها ولدها النعمان بن بشير.. وألحت على زوجها أن يذهب بالغلام الوليد إلى رسول الله.

فأخذ الرجل بيد ولده وجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذى وهبت لابنها..

ودار حوار بين الرسول وهذا الصحابى هكذا:

سأله الرسول ﷺ: يا بشير ألك ولد سوى هذا؟

قال الرجل: نعم.

ثم سأله الرسول : أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال الرجل: لا.

ثم خاطبه الرسول قائلا: أيسرك أن يكونوا إليك فى البر سواء؟

قال الرجل: بلى.

عندئذ قال النبى ﷺ:

فلا تشهدنى إذًا، فإنى لا أشهد على جور، أشهد على هذا غيرى، اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم.

خاتم الذهب ولباس الحرير

الإسلام لا يمنع إعطاء النفس حظوظها من غير إسراف ولا كبرياء، فالملابس الجميلة والمآكل الشهية والمشارب اللذيذة لا حرج فيها ولا حرمة فى تناولها ما لم تكن من حرام أو تدفع إلى حرام وما دامت فى إطار الاعتدال.

ومع ذلك فالإسلام حريص على أن تظل الرجولة فى قوتها الرحيمة بعيدة عن الرخاوة والتخنث والانحلال، ولذلك حرم الإسلام الذهب والحرير على الرجال، وخصهما بالنساء، لأن النساء من طبيعتهن التنشئة فى الحلية والنعومة، فناسب أن يكون الذهب والحرير من خصائص النساء، ولا يجوز للرجل أن يلبس الحرير الخالص أو يتختم بالذهب..

لكن لو كان مخلوطا بغيره فلا حرج وكذلك لو كان الذهب فى موضع السن من الفم أو فى موضع الأنف المجدوع أو الأنملة المقطوعة فلا حرج أيضا..

وذات يوم وجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حلة من إستبرق تباع فى السوق فأخذها فأتى بها رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله ابتع هذه فتجمل بها للعيد والوفد..

أى أن عمر عرض على الرسول أن يشتريها لتكون لباسا جميلا للمناسبات السارة والاجتماعات العامة، إذ من السنة أن يتجمل الإنسان فى الجُمع والجماعات والاجتماعات حتى يظل صورة وضاءة طاهرة.. ولما نظر الرسول إلى هذه الحلة وجدها حريرا خالصا فقال:

إنما هذه لباس من لا خلاق له..

وفى رواية: إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة..

أى أن الإنسان الذى يلبس الحرير فى دنياه ويظل حريصا على الرخاوة فى حياته لا نصيب له من نعيم الآخرة لأنه عصى الله تعالى ولم يلتزم بأحكام دينه..

ثم لبث عمر ما شاء الله، وجاءت إلى الرسول مغـانم فيـها حلـل مـن الحريـر، فبعث بواحدة منها إلى عمر بن الخطاب، فتعجب عمر وظن أن الرسول ﷺ بعثها إليه ليلبسها، فأقبل بها عمر حتى أتى رسول الله فقال: يا رسول الله قلت: إنمـا هذه لباس من لا خلاق له، أو إنما يلبس هـذه مـن لا خـلاق لـه، ثـم أرسـلت إلىّ بهذه..

عندئذ قال النبى ﷺ :

إنى لم أبعثها إليك لتلبسها ولكن بعثت بـها إليـك لتشـققها خُمُـرا (أغطيـة رأس) بين نسائك..

وفى رواية: **تبيعها وتصيب بها حاجتك.**

الزوج البخيل

كفالة الرجل لأهله وولده فريضة إسلامية، لا يجوز التفريط فيها بحال من الأحوال، ومسئولية الرجل المالية واضحة جلية في القرآن المجيد، قال الله تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾.

(الطلاق / ٧)

والنفقة على الأولاد من أعظم القربات عند الله عز وجل، وهي مقدمة على كل النفقات الأخرى الواجبة في المال، فهي مقدمة على الزكاة والصدقة والصلة والمعروف وسائر أنواع المبرات، فالأقربون أولى بالمعروف، وذلك هو قانون العدل في الإسلام..

والنفقة تكون في حدود التوسط والاعتدال من غير إسراف ولا تقتير، وقد نهى الله أشد النهي وأبلغه عن الإسراف والتقتير فقال:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾

(الإسراء / ٢٩)

إن الإنسان البخيل يكون ملوما من الله ومن الناس، وإن الإنسان المسرف تكون عاقبته خسرا ويظل بحسرته بعد نفاذ ماله..

وذات يوم دخلت هند بنت عتبة، امرأة أبي سفيان على رسول الله ﷺ، وسألت سؤالا عجبا فقالت:

يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ولا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنيَّ إلا ما أخذت من ماله بغير علمه..

إن هذه السيدة تشكو زوجها لرسول الله، وترفع دعوى نفقة، وتستفتى فيما تفعل معه..

إن زوجها رجل بخيل، وليس يعطيها من النفقة ما يفى بحاجات أولاده، ليس عن قلة وضيق ذات اليد، وإنما عن شح وبخل، وليس يعقل أن تترك المرأة أولادها بلا نفقة فى وقت ترى المال يختزن عند زوجها..

ولهذا فهى تتحايل وتأخذ من مال زوجها بغير علمه لتنفق فى مصارف الأسرة من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك..

وحيث إن المرأة المسلمة أمينة فى مال زوجها وراعية لأولاده، فهى حريصة على أن ترضى ربها سبحانه وتعالى، ولا تريد أن تقع فى المأثم والمعصية..

لقد سألت هند بنت عتبة رسول الله ﷺ وقالت: فهل علىّ فى ذلك من جناح؟!

عندئذ قال النبى ﷺ:

خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك..

فضل رعاية البنات

اقتضت حكمة الله تعالى أن يمنح الناس البنين فقط أو البنات فقط، أو يمنحهم البنين والبنات معًا، وقد يجعل البعض عقيما لا ولد له..

والإنسان العاقل يرضى بما قسم الله له، ويعمل على أن يقوم بتربية أولاده تربية حسنة، فيكفل لهم القوت ويعلمهم الأدب والدين والأخلاق، ويعفهم عن ذل السؤال، ويترفع بهم عن الدناءة والصغار.. وإذا ما وصلوا إلى مرحلة البلوغ ساعدهم على الزواج الذى يحقق لهم الاستقرار والهدوء النفسى..

والمسلم يخالف أهل الجاهلية فيفرح بالأنثى التى تولد له فرحا شديدا، ويغتبط بقدومها، فالأنثى هى أمنا، وهى أختنا، وهى زوجتنا، وهى ابنتنا، وبالتالى فالنساء شقائق الرجال..

وعلى عهد رسول الله ﷺ جاءت امرأة مسكينة إلى بيت السيدة عائشة رضى الله عنها تطلب صدقة، ومعها بنتان تسعى عليهما..

ولم يكن بيت النبى ﷺ يقف عليه الحراس أو الحجاب يمنعون الناس، بل كل طارق يستطيع أن يستأذن فى بيت النبوة..

ولم يكن بيت النبى الكريم يحوى الأرائك والرياش بل كان من جريد النخل على أبوابه المسوح من شعر أسود..

ولم يكن بيت النبى الكريم فيه ما لذ وطاب من الأطعمة، وإنما كان رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام يعيشون عيشة سهلة يسيرة قائمة على الكفاف..

وحين سألت المرأة المسكينة شيئا من بيت النبوة فلم تجد السيدة عائشة غير ثلاث تمرات فأعطتها للمرأة..

هنا أخذت المرأة التمرات الثلاث وقدمت لابنتيها تمرتين وأخذت الثالثة لنفسها، ولم تكد المرأة ترفع التمرة لتأكلها حتى استطعمتها ابنتاها، فلم تجد

المرأة بدًا من أن تشق التمرة نصفين وتعطى كل واحدة نصفا.. وبقيت المرأة لا تجد ما تأكله..

وتعجبت السيدة عائشة من صنيع هذه المرأة، فإن الأم تؤثر أبناءها على نفسها، وتضحى بلذتها فى سبيل سعادتهم، وتفعل كل ما يحفظ لهم حياتهم وسرورهم..

وظلت السيدة عائشة تفكر فى شأن هذه الأم وتتعجب من رقة شعورها، فلما عاد الرسول ﷺ إلى بيته أخبرته بالموقف وقصت عليه ما حدث، عندئذ قال الرسول ﷺ:

(إن الله قد أوجب لها بهما الجنة.. من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار).

حسن الصحبة للوالدين

يجعل المنهج الإسلامي حقوق الوالدين مقرونة بالأمر بعبادة الله تعالى، وما ذاك إلا لأن الوالدين قدما الكثير لأبنائهما دون مَنّ ولا أذى، ودون قهر ولا إكراه،، بل قد سعدا بأبنائهما السعادة الكاملة حين أطعماهم فى الصغر، وحين قدما لهم كل سبل الراحة، وعملا جاهدين على رعايتهم الرعاية الكاملة الأمينة..

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

(الإسراء/ ٢٣ : ٢٤)

وليس فى بر الأبناء بآبائهم ما يفى بحق الوالدين، ولهذا كان النهى عن كلمة (أف) وهى أقل ما يعبر عن الضجر والإساءة، وجاء التعبير بقوله: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) قويا فى الدلالة على لين الجانب والتواضع لهما؛ وأعقب ذلك الدعاء لهما بقوله: (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) دلالة على عجز الإنسان عن الوفاء بحقهما، فيلجأ الولد إلى الله تعالى بالدعاء للوالدين، فهو وحده سبحانه الذى يجزى الوالدين الجزاء الأوفى..

وذات يوم أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله... أى أن الرجل حريص على طاعة الله، يأمل فى ثوابه، ويرغب فى نصرة الدين، ويقدم التضحيات الجسام فى سبيل الله..

فالهجرة تعنى ترك الوطن والديار وذوى القربى والرحم، والجهاد يعنى بذل المال والنفس والتضحية بكل متع الحياة.. لأن ثواب الله أبقى وأعظم وأخلد..

إن الرسول ﷺ سأل الرجل سؤالا له دلالته فقال: فهل من والديك أحد حى؟ قال الرجل: بل كلاهما..

فانتقل الرسول ﷺ إلى سؤال آخر يستظهر به تأكيد هدف الرجل وغايته قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال الرجل: نعم..

وهذا من حكمة الرسول ﷺ فى الدعوة وحسن المعالجة النفسية والتربوية، لقد لفت الرسول نظر الرجل إلى ضرورة رعاية الوالدين والشفقة والحنو عليهم، وأكد له أن الأجر والثواب من الله تعالى ليس وقفا على حمل السلاح وترك الأوطان فى سبيل الله، بل هناك مجالات كثيرة تحتاج إلى رجال مخلصين يسعون فى الأرض خيرا وبركة، وعلى رأس الواجبات وفى قمة الطاعات - الإحسان إلى الوالدين وتلبية حاجاتهما والسعى فى مرضاتهما..

عندئذ قال النبى ﷺ : **فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما.**

جريمة سب الوالدين

اقتضت فطرة الله تعالى التى فطر عليها الخلق أن يحنو الأب والأم على أبنائهما، ويحرصا على سعادتهم، ويسعيا فى سبيل مصلحتهم، ويقدما لهم كل بر ومعروف..

ولهذا كان من الدين والمنطق أن يفى الأبناء لآبائهم وأمهاتهم، ويقدموا لهم بعض الجزاء..

وطبيعة الحياة أنها قائمة على امتداد الأجيال وتعاقبها، وعلى تبادل المواقع وميراثها، فأبناء اليوم هم آباء الغد، وما يقدمه الابن فى مرحلة يقدم له فى مرحلة أخرى، فالحياة ديون مستحقة، وأمانات تؤدى، ومواقف يسلم بعضها إلى بعض..

وقد أوصى الله تعالى وصية جامعة ببر الآباء وبخاصة فى حال الكبر، تلك الحال التى يحتاج فيها الآباء إلى مزيد الرعاية والعناية.. قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

(الإسراء / ٢٣، ٢٤)

وخص الإسلام الأم بمزيد البر لضعفها وكمال شفقتها وتحملها مشاق الحمل والرضاعة.

قال الله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾.

(لقمان / ١٤)

وفى إطار هذه الوصايا الطيبة يتحدث الرسول ﷺ إلى أصحابه قائلا: من الكبائر شتم الرجل والديه..

والشتم هنا هو إلقاء الكلمات القبيحة على مسامع الوالدين ونسبتهما إلى ما يسيء إليهما، فهذا من الكبائر التى يترتب عليها الوعيد الشديد من الله تعالى..

وقد تعجب الصحابة من مقالة رسول الله ﷺ وفهموا أن النهى هو عن الشتم المباشر للوالدين. فالطبائع السليمة تنفر منه وتأباه، ولهذا قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ أى أن هذا قبيح جدا وغير متصور وليس يتأتى من عاقل، لأن المجتمع حينئذ كان مجتمعا صالحا، يعيش الناس فيه على الفطرة السوية وليس فيهم شذوذ سلوكى أو فكرى..

ووافقهم الرسول ﷺ على هذا الاتجاه الحميد، وهو أن الرجل لا يسب والديه، ولكنه نبههم إلى نقطة أخرى وهى السب بطريق غير مباشر بأن يتسبب فى لعن والديه وشتمهما بأن يسب آباء الآخرين فيرد عليه الآخرون بسب والديه، فهذا يعد من الكبائر المهلكات، فالعاقل يصون لسانه فيحفظ نفسه..

فالصحابة رضى الله عنهم حين تعجبوا من النهى عن سب الوالدين سبا مباشرا..

عندئذ قال النبى ﷺ :

نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه.

نظافة البيت بإخلائه من الكلاب

كان رسول الله ﷺ يلتقي بجبريل الأمين في أماكن متعددة، وفي أوقات مختلفة، سفرا وحضرا، فيتلقي الوحي والأحكام التي أراد الله تعالى أن يكلف بها عباده وينتفعوا بها في كل زمان ومكان..

وذات يوم وعد جبريل الأمين رسول الله ﷺ أن يلتقي به في ساعة معينة، فلما حان الوقت تهيأ الرسول لهذا اللقاء الروحاني الفريد، فتخلف جبريل عن موعده، فقلق رسول الله وأصبح واجما، وألقى عصاه التي تعود أن يمسك بها، حتى إن السيدة ميمونة إحدى أمهات المؤمنين تعجبت وقالت:

يا رسول الله قد استنكرت هيئتك منذ الصباح..

أي أنك - على غير عادتك - مهموم حزين، فهي تسأل عن سر هذا الهم والحزن..

فقال لها: إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني، ووالله ما أخلفني.

وفي رواية: ما يخلف الله وعده ولا رسله..

وظل الرسول ﷺ يومه ذلك قلقا مهموما، وتلفت الرسول في منزله عسى أن يجد شيئا قد يتنافى مع طهر اللقاء وروحانية التنزيل وجلال الموقف، فوجد جروا (كلبا صغيرا) تحت سريره، فتنبه إلى أن هذا الكلب الصغير قد يكون سببا في عدم مجيء جبريل في موعده، فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه حتى أصبح المكان نظيفا تماما..

وسأل الرسول ﷺ السيدة عائشة: متى دخل هذا الكلب ههنا، فقالت: والله ما دريت..

فلما أمسى لقيه جبريل الأمين فقال له: قد كنت وعدتنى أن تلقانى البارحة فجلست لك فلم تأت.

قال: أجل، ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة..

إن البيوت يجب أن تكون طاهرة نظيفة حتى تكون محلا لملائكة الرحمة، تلك الملائكة التى لا تدخل البيوت التى تأوى إليها الكلاب، فإن الكلاب من أكلة النجاسات وفيها قبح الرائحة، فوجودها فى البيوت يمنع ملائكة البركة والحفظ، وهؤلاء غير الملائكة الكتبة الذين يسجلون أعمال الإنسان، فهم لا يفارقون بنى آدم أبدا..

والمراد بالكلاب كلاب الزينة والمراد بالصور التماثيل، أما كلاب الحراسة والصيد فلا شيء فيها وكذلك الصور الفوتغرافية غير المخلة بالآداب لا مانع منها..

وعندئذ أفتى النبى ﷺ بقتل الكلاب وقال:

لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة..

العدل مع الخادم

جعل الله الناس درجات، يتعاونون فيما بينهم، ويخدم بعضهم بعضا، ومهما كان الخادم ضعيفا أو صغيرا أو لا نسب له فإن حقه فى الحياة، وكرامة الوجود، وسماحة المعاملة وطيب العشرة من الواجبات الشرعية التى يأمر بها الدين ويحث عليها..

فالشعار المرفوع دائما قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

(الحجرات / ١٣)

ويحكى معاوية بن سويد عن قصة لها مغزاها، وواقعة لها دلالتها فيقول: لطمت مولى لنا فهربت، ثم جئت قبيل الظهر فصليت خلف أبى، فدعاه ودعانى، ثم قال: امتثل منه فعفا..

لقد كان سويد هذا أحد الصحابة الأجلاء، وذات يوم قام ابنه معاوية بلطم عبد لهم، وأحس الولد بشناعة الفعل وبشاعة الجرم الذى ارتكبه رغم كونه أمرا قد يكون يسيرا، فهرب من البيت وظل فى الخارج حتى حان وقت الظهر فعاد إلى البيت وصلى خلف أبيه، ولما علم الوالد بما صنع ولده حكم فعدل، ودعا الخادم وأمره أن يقتص من ولده بأن يلطمه كما لطمه..

وهذا منتهى النبل وسماحة الأخلاق التى تعلمها الناس فى مدرسة محمد ﷺ..

ولكن الخادم كان أكثر سماحة فعفا ولم يقتص وطابت نفسه..

وأراد الرجل أن يعلم ولده درسا، وقص عليه موقفا مشابها فقال: كنا بنى مُقَرِّن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادم واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: أعتقوها..

إن الواقعة التى حدثت على عهد رسول الله أن أحد أفراد هذه الأسرة لطم جارية، ووصل الخبر إلى النبى الكريم، وكان المصطفى ﷺ قد أعلن مبدأ أخلاقيا ساميا فقال:

(من ضرب غلاما له حدا لم يأته أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه).

فالإسلام حريص على الحرية، وفتح أبوابا كثيرة لتحرير الأرقاء، فمجرد اللطمة تكون كفارتها عتق العبد الذى وقع عليه الضرب..

وحين لم يجد القوم بدا من تنفيذ الحكم قالوا:

يا رسول الله ليس لنا من خادم غيرها..

فهم فى حاجة إلى من يعينهم ويخدمهم وقد ندموا على ما فعلوا، فهل من حل آخر؟

عندئذ قال النبى ﷺ : **فليستخدموها فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها.**

حد الزنـا

الإسلام حريص على نقاء العرض وطهارة النسب، حتـى يعيـش النـاس شـرفاء السريرة والسلوك، يأمنون على أعراضهم ويحفظون أنسابهم..

وجريمة الزنا من أبشع الجرائم وأكثرها فسادا للمجتمع وفتكا بـأفراده، وتـهبط بالإنسان إلى درك الحيوانية البهيمية، وتدفع إلى كل شر وسوء..

وعلى عهد رسول الله ﷺ احتكم رجلان إلى المصطفى الكريم فى قضية خطيرة، وهى أن ابن أحدهما كان أجيرا عند الآخر، وحصـل تسـاهل فـى علاقـة الأجـير بأهل البيت، وسمح له بالتواجد فى البيت أثناء غيبة الزوج، فجمع الشيطان بين الأجير وامرأة سيده فارتكب معها جريمة الزنا..

ولما شـاع الأمـر، وتنـاقل النـاس الخـبر، اجتمـع والـد الأجـير مـع زوج المـرأة لمناقشة القضية، وتطوع بعض من لا دراية له فى الديـن فـأفتى بـأن علـى الأجـير الرجم بالحجارة حتى الموت، فتصالح الرجلان علـى أن يدفـع والـد الأجـير مائـة شاة ووليدة (أى جارية).

ثم جاء بعض أهـل العلـم وصححـوا الفتـوى وقـالوا: إن الحكـم الشـرعى علـى الأجير جلد مائة وتغريب عام لأنه شاب لم يسبق له الزواج فالحكم عليه مخفف، فيجلد مائة جلدة وينفى من موقع الجريمة إلى مكـان بعيـد لمـدة عـام حتـى تـهدأ الأمور..

أما زوجة الرجل فحدها الرجم حتى الموت لأنها سيدة متزوجة ثم تمردت على قدسية الحياة الزوجية واستمتعت بغـير مـا أحـل الله، وخـانت الأمانـة وهتكـت عرض زوجها.. فحدها الرجم..

وحينئذ ذهب الرجلان إلى رسول الله ﷺ ليتأكدا من الحكم الصحيـح وليعرضـا عليه شكواهما، وطلبا من الرسول أن يقضى بينهما بكتـاب الله تعـالى لأنـه مصـدر

التشريع ، وحكم الرسول هو الحكم الشرعى ولا مجال للاجتهاد مع فتوى رسول الله، والكل مطمئن إلى عدالة الحكم، ونزاهة الحاكم..

عندئذ قال النبى ﷺ:

والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليد والغنم رَدٌّ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس (أحد الصحابة) إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها..

فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت.

الطلاق السنى

شرع الله الطلاق كحل أخير لمشكلات الحياة الزوجية، وما من شك أن علاقة الرجل بزوجه قد يعتريها فتور أو قد يساء فيها لأحد أطرفها، وقد أمرنا الله تعالى بالصلح بين الزوجين، ووكل ذلك ابتداء إلى الزوج باعتباره الأقدر على الروية والتريث، ومنحه حق التوجيه والنصح والهجر فى المضاجع والضرب الخفيف غير المبرح، فإن فشلت هذه الوسائل كلها كان مشروعا بعث حكمين يمثلان الزوجين، يبحثان أسباب الشقاق، فإذا لم تنجح هذه المساعى الحميدة فلا مناص من الطلاق..

ومشروعية الطلاق فى الإسلام ترتبط بضوابط معينة، فالطلاق مرة ثم مرة، ويحق للزوج أن يراجع زوجه فى العدة بلا مهر ولا عقد، فإن انتهت العدة راجعها بإذنها وبمهر وعقد جديدين..

وإذا كان الطلاق مكملا للثلاث فلا يجوز شرعا أن ترجع المرأة إلى زوجها إلا بعد أن تتزوج غيره زواجا شرعيا بغرض صحيح، فإن طلقت من الزوج الثانى لسبب من الأسباب أو توفى عنها جاز للزوج الأول أن يراجعها بزواج جديد..

ومن السنة فى الطلاق أن يقع فى طهر لم يجامعها فيه الزوج، فالطلاق فى الحيض أو للحامل يسمى شرعا طلاقا بدعيا، وهو واقع ولكن يتحمل الزوج إثما وحرمة لما يترتب عليه من تطويل العدة على المرأة أو لما قد يظهر من الحمل فيندم على الطلاق لرغبته فى الولد..

وقد حدث على عهد رسول الله ﷺ أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما طلق امرأته وهى حائض، فحاول أبوه عمر أن يلجأ إلى الرسول مستفسرا عن حكم هذا الطلاق الذى وقع من ابنه على امرأته الحائض..

والطلاق أثناء الحيض قد يكون لأسباب غير جوهرية، فلعل الزوج غاضب على زوجته لعدم معاشرته لها أثناء الحيض، أو لعل المرأة تعتريها حالة عصبيــة أثنـاء الدورة الشهرية فأراد الشرع الحكيم أن يرفع أسباب التوتر ويـدع للزوجـين فرصـة التعقل والهدوء..

عندئذ قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه:

مره فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التى أمر الله عز وجل، أن يطلق لها النساء..

عدة النساء

شرع الله تعالى عدة للمرأة عند طلاقها أو وفاة زوجها، والعدة فترة زمنية تمكث فيها المرأة، لا يصح أن تتزوج إلا بعد انقضائها، كي تتبين براءة الرحم من ماء الرجل الأول..

وهذه العدة تختلف من امرأة لأخرى، فالمرأة غير المدخول بها لا عدة عليها فيصح أن تتزوج بمجرد الطلاق، والمرأة المدخول بها إن كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل، وإن كانت غير حامل فعدتها ثلاثة قروء بمعنى ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار..

ويختلف الأمر بالنسبة للمرأة التى توفى عنها زوجها، فصريح القرآن المجيد أنها تمكث أربعة أشهر وعشرًا وفاء لحق الزوج الأول وحدادا عليه فلا يجوز شرعا أن تتزوج قبل انقضاء هذه المدة..

لكن هذا الحكم عند جمهور العلماء لغير الحامل، وقد حدثت واقعة على عهد رسول الله ﷺ، فإن إحدى الصحابيات، وهى سُبيعة بنت الحارث الأسلمية كانت متزوجة سعد بن خولة، وهو من بنى عامر بن لؤى، وكان ممن شهد غزوة بدر الكبرى، وتوفى عنها فى حجة الوداع فى العام العاشر من الهجرة، وتركها حاملا، فلَم تمكث إلا قليلا حتى وضعت حملها..

وحين انقطع دم نفاسها أرادت الزواج وتجملت ، فدخل عليها أحد الصحابة وهو أبو السنابل بن بعكك فقال لها: مالى أراك متجملة لعلك ترجين النكاح، إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر..

واختلفت سبيعة مع أبى السنابل، فهى ترى أن حقها فى الزواج بعد وفاة زوجها قد حان بوضع الحمل، وهو يرى أن حقها فى الزواج لا يكون إلا بعد انقضاء أربعة أشهر وعشر ليال..

وفى المساء لبست المرأة ثيابها وخرجت تستفتى رسول الله ﷺ .

عندئذ أفتاها رسول الله ﷺ **بأنها قد حلت حين وضعت حملها وأمرها بالتزوج إن بدا لها ذلك..**

الوصية فى التركة

كان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه، يزور غائبهم ويعود مريضهم ويسأل عنهم، ويحدثنا عامر بن سعد عن أبيه سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، وهو أحد السابقين فى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله..

يحدثنا عامر أن أباه مرض فى مكة أثناء حجة الوداع فى العام العاشر للهجرة وكان المرض شديدا أشرف منه على الموت، وذهب الرسول ﷺ يعود سعدا، وأثناء الزيارة قال سعد:

يا رسول الله بلغنى ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة أفأتصدق بثلثى مالى؟

لقد ظن سعد بن أبى وقاص أن مرضه هذا سيفضى به إلى الموت فأراد أن يتصدق بعد موته بالثلثين من ماله، لأنه لم ينجب إلا بنتا واحدة، وله ثروة كبيرة، وأحب أن يكون للفقراء نصيب فى ماله، لكنه بالغ فى الوصية فجعلها تستغرق ثلثى المال..

ودار حوار بين الرسول ﷺ وسعد هكذا:

قال الرسول : لا.. أى لا تتصدق ولا توصى بثلثى مالك، وتدع الثلث فقط لابنتك الوحيدة..

فقال سعد: أفأتصدق بشطره؟ أى بنصف المال.

قال الرسول: لا ، الثلث والثلث كثير، أى لا تتصدق بنصف مالك، ويمكن لك شرعا أن توصى بثلث المال فقط مع أن الثلث كثير أيضا..

وقبيل أن نصل لبيان هذا التشريع نذكر أن سعدا قد شفاه الله وعاش حتى فتح مدائن كسرى بالعراق، وهو الذى بنى الكوفة، وهزم الفرس بالقادسية، وكان آخر

المهاجرين موتًا، ولما حضرته الوفاة دعا بجبة له قديمة فقال كفنوني فيها فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر، وهي عليَّ، وإنما كنت أخبؤها لهذا..

أما حكمة الاقتصار في الوصية على الثلث فقد بينها الرسول ﷺ عندما قال:

إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في فِيِّ امرأتك (أي في فم امرأتك).

الفصل الخامس

فى الطيبات من الرزق

- الاعتدال فى جمع المال
- النية والصدقة
- حرمة المال العام
- طهارة التجارة
- فضل الزراعة
- نقمة المال
- الوفاء بالنذر
- ظلم اليمين الكاذبة
- حرمة التعامل فى الخمر
- أحكام فى الصيد
- شراء الإنسان لما تصدق به
- التأليف بالعطاء
- القناعة والقصد فى جمع المال
- الإيثار فضيلة الأنصار
- النفقة على الأقربين
- البحث عن المسكين المتعفف
- العطاء دون سؤال
- أصحاب المسألة
- المسارعة لقضاء الديون
- حسن قضاء الدين
- حقيقة المفلس
- فضل الشهادة فى سبيل الله وأهمية إبراء الذمة

الاعتدال فى جمع المال

حب المال غريزة، إلا أن هذه الغريزة يجب أن نتسامى بها حتى لا تتحول إلى مصدر شقاء للفرد والمجتمع، فالمال ينبغى أن نجمعه من الحلال ونصرفه فى البر، فإن خرج عن هذا الإطار كان وبالاً على صاحبه، فالذى يجمع المال من حلاله وحرامه، ولا يبالى من أين أتى، ويضيع حياءه ويريق ماء الوجه ويذل نفسه فى سبيل الحصول عليه – هو إنسان لن يبارك الله له فى هذا المال، ولن يحسن الانتفاع به، وسيظل قلقا لا يهدأ..

والذى ينفق المال فى غير وجوه البر المشروعة هو أيضا إنسان يورد نفسه المهالك، ويتحمل أوزارا شتى نتيجة انفاق المال فى المعصية أو على الملذات والشهوات أو نتيجة الإسراف الذى يخرج عن حد الاعتدال..

وقد وصف الله تعالى عباد الرحمن بقوله:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾.

(سورة الفرقان/ ٦٧)

وحدد الله تعالى طرق الإنفاق فقال:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾﴾

(سورة الإسراء / ٢٦ : ٢٧)

وذات يوم جاء أحد الصحابة ويسمى حكيم بن حزام، وسأل رسول الله ﷺ مالاً فأعطاه، ثم سأل مرة ثانية فأعطاه، ثم سأل الثالثة فأعطاه، لأن الرسول الكريم كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وكان لا يرد سائلا، وكان يجود بما عنده، بل ربما اقترض ليعطى السائل لأن النبى ﷺ كما وصفه ربه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

(سورة القلم / ٤)

ومع ذلك فإن الرسول هو المعلم الذى يرشد الناس إلى الخير والعفاف والبر، ويربى أصحابه على مكارم الأخلاق، فبدأ الرسول يوجه النصيحة لهذا السائل الذى كرر المسألة، فبين له أن المال قد يغرى الإنسان ويخدعه فينبغى الحذر فى جمعه بحيث لا يصاب المرء بالهلع والحرص الشديد الذى يريق ماء الوجه ويذهب بحياء الإنسان، ووضح الرسول أن الإنسان الذى يأخذ المال بعزة النفس يبارك الله تعالى له فى هذا المال، وأن الذى يأخذ المال بلا حياء ولا كرامة لن يكون مباركا له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع، أو كالذى يشرب الماء المالح فلا يزداد إلا عطشا..

عندئذ قال النبى ﷺ:

إن هذا المال خُضْرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى.

النية والصدقة

المال مال الله استودعه بعض عباده ليشاركوا به فـي بنـاء المجتمـع، ومسـاندة المؤمنين، ومساعدة ذوى الحاجات..

والإنسان المتصدق يتحرى بصدقته أن تصل إلى من يستحقها ويكون أهـلا لهـا، لكن أحيانا يبحث المسلم عن أخيه المستحق للصدقة فيصادف إنسانا يظنـه كذلـك فيعطيه صدقته ثم يفاجأ بعد ذلك بأنه لا يستحق الصدقة..

فهذا الإنسان المتصدق له ثواب نيته وبحثـه وتحريـه عـن مصـارف صدقتـه ولا يضره بعد ذلك من أخذها..

وقد كان رسول الله ﷺ يحث أصحابه على الصدقـة ويدفعـهم إلى البحـث عـن ذوى الحاجات من إخوانهم، وكان يضرب لهم الأمثـال ويقـص عليـهم القصـص، ويخبر عما حدث فى الأمم السابقة ليكون لهم عبرة وذكرى..

وذات يوم أخبر النبى ﷺ أصحابه عن هذه القصة:

(قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة) أى عزم الرجل على إخـراج صدقـة لـه فـى الخفاء وفى جوف الليل حتـى يظـل عملـه خالصـا لوجـه الله تعـالى بـلا ريـاء ولا سمعة..

(فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية) أى أن الرجـل خـلال محاولتـه البحـث عن مستحق الصدقة صادفته امرأة ظنها محتاجة فأعطاها الصدقة فـإذا هـى امـرأة زانية، وشاع الخبر، فأصبح الناس يتحدثون ويقولون تُصُدِّق الليلة على زانية!!

فحمد الرجل ربه وقال: اللهم لك الحمد على زانيـة، ثـم عـاود الصدقـة وقـال لأتصدقن بصدقة فخرج فوضعها فى يد غنى فأصبح الناس يتحدثون قائلين تُصُـدق على غنى، فحمد الرجل ربه وقال: اللهم لك الحمد على غنى، ثم عـاود الصدقـة وقال: لأتصدقن بصدقة، فخرج فوضعها فى يد صادفت يد سارق..

فرجع الرجل وهو حسير وقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلـى غنـى وعلـى سارق..!! وظن الرجل أن صدقته ذهبت هباء ولا ثواب له..

عندئذ قال النبى ﷺ لأصحابه:

إن مَلكا أتى إلى الرجل قائلا: أمـا صدقتـك فقـد قُبلـت، أمـا الزانيـة فلعلـها تستعف بها عن زناها، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعـل السـارق يستعف بها عن سرقته.

حرمة المال العام

المال العام هو المال الذى يكون ملكا مشتركا بين المسلمين، ويتولى الحاكم المسلم وضعه فى خدمة مصالح الأمة كلها، يقوى به الجيش، ويشيد به المدارس والمساجد والمصانع ويبنى به المستشفيات والمرافق..

هذا المال العام يجب الحفاظ عليه والأمانة فى إنفاقه والحرص على أن يصل إلى مستحقه، وأى اعتداء عليه يتحمل صاحبه وزرا ثقيلا فى الدنيا والآخرة، وتظل الجريمة تلاحقه ما لم يتب ويرد المال إلى خزانة الدولة، أو يضع الأمر تحت تصرف ولى الأمر العام..

وفى غزوة خيبر التى وقعت فى العام السابع من الهجرة، وتم فيها إجلاء اليهود عن الجزيرة العربية – أقبل نفر من صحابة النبى ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، وأخذ الصحابة يذكرون شهداءهم بالخير، ومروا على رجل قتيل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: كلا، إنى رأيته فى النار فى بردة غلّها أو عباءة..

أى أن رسول الله ﷺ لفت أنظار أصحابه إلى قضية جد خطيرة، وهى أن الشهادة وإن كانت مرتبة عليا ومكانة سامية وثوابا أعظم، إلا أن الغلول من المال العام والأخذ منه دون استحقاق، والاستئثار ببعض أموال الغنائم العسكرية دون إذن من الحاكم العام.. كل ذلك جريمة تحبط ثواب الأعمال الصالحة وتطعن فى دين صاحبها وتسلبه الكرامة فى الدنيا والآخرة..

وقد تكرر هذا الموقف من الصحابة، فقد أصاب سهم عبدا لرسول الله فكان فيه حتفه أثناء عودتهم من غزوة خيبر فقال الصحابة: هنيئا له الشهادة يا رسول الله، فقال: كلا.. والذى نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم..

ففزع الناس وأخذ كل منـهم يفتـش فـى أعمالـه وتصرفاتـه، حتـى جـاء رجـل بشراك أو شراكين (خيط للنعال) فقال رسول الله ﷺ: شـراك مـن نـار أو شـراكان من نار..

إن الصحابة رضى الله عنهم تلقوا درسا بليغا من هـذا الموقـف، وعلمـوا حرمـة المال العام، وأدركوا أن الشهادة فى سبيل الله – رغم عظم ثوابها – لا تمحو هـذه الجريمة النكراء..

وعندئذ نادى الرسول على عمر بن الخطاب وقال: **يا ابن الخطاب اذهب وناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون..**

طهارة التجارة

ربط الله تعالى الحل بالطيبات ، والحرمة بالخبائث، فقال جل شأنه:

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾

(الأعراف / ١٥٧)

وحرمة الخبائث تتناول الأكل وكافة أنواع الانتفاع الأخرى، ولا يجوز لمسلم أن يبيع أو يشترى ما حرمه الله تعالى، فإن الكسب الخبيث يحبط عمل الإنسان، ولا تقبل منه صدقة، ولا يرفع معه دعاء، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا..

وفى العام الثامن للهجرة حين فتح المسلمون مكة وعادوا إلى ديارهم وأهليهم بعد أن هاجروا منها مكرهين حفاظا على الدين والعرض، وقف رسول الله ﷺ يوجه المسلمين كى يحافظوا على طهارة عقيدتهم وسلوكهم فقال: إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام..

لقد كان الناس فى الجاهلية يشربون الخمر ويأكلون الميتة والخنزير ويعبدون الأصنام، فلما جاء الإسلام عالج قضية العقيدة فحرم الأصنام، وعالج قضية الشريعة فحرم الخمر والميتة والخنزير، فالخمر أم الخبائث، وأضرار الميتة كثيرة متعددة وكذلك أضرار الخنزير البدنية والنفسية..

وتحريم هذه الأشياء يجعل المسلم ينأى عنها كلية، فلا يتجر فيها ولا يتكسب منها ولا ينتفع بأى شىء يتعلق بها، فليس التحريم مقصورا على الأكل بالنسبة للميتة والخنزير، أو المشرب بالنسبة للخمر، أو العبادة بالنسبة للأصنام..

بل لا يجوز شرعًا تربية الخنازير ولا التجارة فيها، ولا يجوز شرعا تجميع لحوم الميتة لبيعها لمن يستحلها أو للانتفاع بها فى جوانب أخرى غير الأكل،

ولا يجوز شرعا تصنيع الخمور أو الترويج لها حتى بين من يشربها من غير المسلمين، ولا يجوز شرعا إقامة الأصنام أو التماثيل قطعا لدابر الشرك والوثنية..

وهنا تساءل الصحابة وقالوا: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس.

لقد أرادوا الاستفسار عن حكم الانتفاع بشحوم الميتة في أشياء أخرى غير المآكل كطلاء السفن ودبغ الجلود والإضاءة بزيوتها..

فقال رسول الله ﷺ: لا، هو حرام.

إن الإسلام يريد منا التباعد التام عن كل ما هو محرم، وأن يظل المسلم طاهر القلب، طاهر السلوك، طاهر المعيشة، طاهر المال، طاهرًا في كل ما يحيط به ويتعامل فيه..

لقد كان لليهود تحايل على شرع الله، فقد حرم الله عليهم أكل بعض الحيوانات والطيور عقوبة لهم، فما كان إلا أن جمعوا شحوم هذه الحيوانات وباعوها وأكلوا أثمانها..

إن الصحابة سألوا عن حكم استخدام شحوم الحيوانات المحرمة، وعندئذ قال النبي ﷺ:

قاتل الله اليهود، إن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه..

فضل الزراعة وثوابها

كان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه ويزورهم فى بيوتهم ومواطن أعمالهم، وكانت له معهم نصائح وتوجيهات، تحملوها وبلغوها الناس حتى يسعدوا بتطبيقها والعمل بها..

ونحن الآن مع رسول الله ﷺ فى زيارته لإحدى الصحابيات وهى تعمل فى مزرعتها، إنها السيدة أم مبشر الأنصارية زوجة زيد بن حارثة رضى الله عنه، دخل عليها رسول الله فى نخل لها، أى فى أرض مزروعة نخلا، وهى تعمل ما يعمله الزارع لإصلاح زرعه والعناية به وسقيه..

فإن العمل شرف، وأطيب الكسب عمل الإنسان بيده، والمسلم لا يكون عالة يتكفف الناس، بل يسعى فى مناكب الأرض يلتمس رزق الله عز وجل، ولا حرج على المرأة شرعا أن تساعد زوجها، وتعمل فيما لا يسيء إليها، ولا يخدش حياءها، ولا يجرح عفافها، وفى حدود الالتزام بالزى الإسلامى الذى يستر جميع بدن المرأة ما عدا الوجه والكفين، ولا يجسم العورة، ولا يشف عما تحته..

والزراعة لها شأن فى الإسلام، وقد امتن الله تعالى على عباده بإخراج الطيبات من الرزق كالحبوب والثمار والفواكه وغيرها مما ينتفع بها الناس والأنعام.، وكثيرا ما تحدث القرآن المجيد عن الحدائق ذات البهجة، وعن المراعى، وعن الثمار والأعناب والفواكه بيانا لفضل الله على خلقه..

والمسلم الذى يفلح الأرض ويعتنى بزراعته ونمائها، له ثواب جزيل عند الله تعالى بقدر ما ينتفع بزرعه، سواء كان الانتفاع لإنسان أو طير أو بهيمة أو غير ذلك.

ولنعلم أن ثواب الله تعالى إنما هو للمؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله ويعملون الطيبات، ولكن الكافرين الذين يتمردون على طاعة الله ويستكبرون عن عبادته

لا حظ لهم فى الآخرة من ثواب الله وفضله.. وقد يمنحهم الله تعالى فى الدنيا مزيد مال أو ولد، وليس لهم فى الآخرة إلا النار وتكون أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فلا يجده شيئا..

ولهذا سأل رسول الله ﷺ أم مبشر فقال: من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر؟

فقالت: بل مسلم.

عندئذ قال النبى ﷺ:

لا يغرس مسلم غرسًا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة إلا كانت له صدقة.

نقمة المال

المال نعمة يوم يجمعه الإنسان من الحلال ويصرفه فى البر، فينتفع به الفرد والمجتمع ، فنعم المال الصالح للرجل الصالح..

والمال فى أيدى السفهاء نقمة حيث يمنعونه من حقه ويصرفونه فى مسالك الفحشاء والمنكر، ولذا استحقوا وصف (إخوان الشياطين) فى قوله تعالى:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

(الإسراء — ٢٦ : ٢٧)

ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، فقد كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وكان أجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة..

وكم أمر الرسول ﷺ أصحابه بالبذل والجود والإيثار ووعدهم فضل الله وثوابه الجزيل فى الدنيا والآخرة.

وكم حذر الرسول من البخل والشح، وتوعد على ذلك وعيدا شديدا فى الدنيا والآخرة.. ويكفى أن تقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

(التوبة — ٣٤ : ٣٥)

وذات يوم جاء الصحابى الجليل أبو ذر رضى الله عنه إلى النبى ﷺ وهو جالس فى ظل الكعبة، فلما رآه الرسول الكريم قال:

هم الأخسرون ورب الكعبة..

فالرسول هنا يقسم بالله أن هناك جماعة من الناس هم الأكثر خسارة والأكبر ضياعا والأسوأ عاقبة..

ولم يدرك الصحابى الجليل أبو ذر صفة هؤلاء الأخسرين التى جعلتهم فى هذه الحال السيئة.. فقام إلى الرسول وناشده قائلا: يا رسول الله فداك أبى وأمى من هم؟

فأجابه الرسول موضحا حقيقة أمر هؤلاء الأخسرين بأنهم أصحاب الأموال الكثيرة، المترفون الذين اكتفوا بصرفها فى شهوات المآكل والمشارب والملابس، ولم يعرفوا حق ذوى الحاجات، ولم يستخدموا مال الله فى منفعة خلق الله..

عندئذ قال النبى ﷺ:

هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها، حتى يُقضى بين الناس..

الوفـاء بالنـذر

حدد الله تعالى الفرائض، وبين الحـلال والحـرام، وربـط ذلـك كلـه باسـتطاعة الإنسان وقدراته، ولم يكلفنا الله تعالى بما يشق علينا أو نعجز عن الوفاء به ، فـالله تعالى رحمن رحيم..

لكن الإنسان قد ينذر شيئا يتقرب به إلى الله تعالى، يلزم به نفسه، ويدفعها إلى مزيد من الطاعة يؤكد به ولاءه لله وشرعه..

ولابد فى النذر أن يكون من جنس طاعة مشـروعة، كـأن ينـذر المـرء أن يصلـى عددا من الركعات ليلا، أو ينذر أن يصـوم يومـا أو أيامـا، أو ينـذر أن يقـرأ قـدرا معينا من القرآن، أو يتصدق بصدقة زائدة على الزكاة المفروضة..

وإذا وقع النذر فى معصية أو مباح فلا ينعقد نذرا شرعيا، بل يحرم الوفـاء بـه فى حال المعصية كمن نذر أن يقطـع رحمـه، أو يسـىء إلى جـاره، أو يمتنـع عـن صلاة مفروضة..

ويحدثنا أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ أدرك شيخا يمشـى بـين ابنيـه يتوكأ عليهما، أى أن الرجل شيخ كبير فى السن لا يقوى على المشى وحده، ورآه النبى ﷺ يستند على ولديه كى يمشى علـى قدميـه، ولمـا كـانت الصـورة مؤلـة، وفيها مكابدة ومشقة تلفت إليه النبى ﷺ وسأل عن السر وراء هذه المعانـاة فقـال: ما شأن هذا؟

فأجاب ولداه: يا رسول الله كان عليه نذر..

أى أن الشيخ الكبير نذر أن يحج بيـت الله الحـرام ماشيا علـى قدميـه، وهـو يتكبد المشاق وفاء لنذره..

لقد ظن الشيخ الكبير أن النذر بهذه الصورة واجب الوفاء مهما كلفه من مشاق، ونسى أن الله تعالى رءوف رحيم لا يرضى لعباده العنت، ولا يكلفهم ما يعجزون عن أدائه.. وأن كل ما شرع الله مرتبط بوسع الإنسان، ولمصلحته فى الدنيا والآخرة.

عندئذ قال النبى ﷺ:

اركب أيها الشيخ فإن الله غنى عنك وعن نذرك.

وفى رواية:

إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى وأمره أن يركب.

ظلم اليمين الكاذبة

يعيش الناس سعداء إذا كانوا متعاونين متآلفين متحابين، والذى يؤكد التعاون والألفة والمحبة هو صدق الإيمان وخشية الله فى السر والعلن، ومراقبة حدود الله..

ويكون تعامل الإنسان مع أخيه فى إطار العدل والإحسان، ويحكمه الصدق والإخلاص، وليس هناك حاجة إلى تأكيد القول أو العمل باليمين، فالمسلم لا يقول إلا حقا ولا يعمل إلا خيرا، ولا يحلف على شيء، وإنما الكلمة تصدر منه أمانة، يلتزم بها ويفى لها ويحرص عليها.. فإن اضطر إلى الحلف حلف صادقا وحافظ على يمينه ما لم يكن يمنعه من خير أو يدفعه إلى شر، فحينئذ يفعل الخير ويجتنب الشر ويكفر عن يمينه.

وكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فإن عجز عن ذلك صام ثلاثة أيام.. قال الله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

(المائدة/ ٨٩)

والمسلم الصادق لا يعرف اليمين الكاذبة لأنها تغمس صاحبها في النار، ولذا تسمى اليمين الغموس.

وإذا ترتب على اليمين الكاذبة فساد في الأرض، وضياع حقوق العباد، واقتطاع أموال الآخرين فقد بلغت مبلغا فاحشا من الظلم والظلمات، ولهذا كان الوعيد شديدا لمن يأكل أموال الناس بالباطل ويستولى على حقوقهم بالأيمان الكاذبة، فقد قال رسول الله ﷺ: من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة.

فالإنسان الذى يعتدى على حق لأخيه يظلمه فيه ويضم إلى ذلك يمينا فاجرة فيقسم بالله تعالى أنه صاحب حق ليبرر ظلمه لأخيه – هذا الإنسان قد بلغ من الفسق والفجور حدا أوجب له العذاب الأليم فى الجحيم وحرمه من النعيم المقيم فى الجنان..

وأمام هذا التهديد الشديد قام رجل وقال: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟

لقد تساءل الزجل عمن يقتطع شيئا يسيرا من حقوق الآخرين بيمينه الفاجرة هل يلحقه هذا الوعيد؟ ونسى هذا السائل أن الذى يحلف بالله كاذبا ليستحل شيئا يسيرا لن يتورع عن ظلم الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومعظم النار من مستصغر الشرر، فقد بين له الرسول أن هذا الوعيد لكل حالف كاذب يقتطع حق الآخرين ولو كان سواكا ينظف الأسنان..

فعندئذ قال النبى ﷺ:

وإن كان قضيبا من أراك..

حرمة التعامل فى الخمر

مرّ التشريع الإسلامى بمراحل فى تحريم الخمر، فقد كان الناس يشربون الخمر فى صدر الإسلام، ثم حرمت الصلاة أثناء السكر، ثم جاء التحريم قاطعا فى كل حال..

وذلك لحكمة تربوية، فالناس يومئذ ألفوها، وترتبت عليها أوضاع اقتصادية فأراد الإسلام أن يتدرج بهم حتى يتخلصوا من آثارها، ويتهيأوا لحكم الله فى ضرورة الإقلاع عنها.

والإسلام بتحريمه للخمر وكل مسكر ومخدر يحافظ على الوعى الإنسانى ويقظة العقل حتى تظل كرامة الإنسان محفوظة، ويظل سلوكه راشدا، وتظل معاملاته قائمة على النضج والفكر..

وذات يوم قدم رجل إلى رسول الله ﷺ وأهداه راوية خمر (إناء فيه خمر) ظانا أن الخمر ما زالت حلالا مباحا يشربها الناس كعادتهم فى الجاهلية وصدر الإسلام..

هنا قال النبى ﷺ للرجل: هل علمت أن الله حرمها؟

قال الرجل: لا..

فلعل هذه الواقعة كانت عقب تحريم الخمر وقبل اشتهار ذلك الحكم، فإن وسائل الإعلام يومئذ لم تكن ميسورة بالشكل المعاصر الذى نحسه اليوم..

وكان يجلس مع رسول الله ﷺ رجل فانتحى بصاحب الهدية جانبا وأسر فى أذنيه شيئا لم يسمعه المصطفى الكريم، فقال ﷺ لهذا الرجل: بم ساررته؟ فأجاب الرجل: أمرته ببيعها..

أى أن الرجل الجالس مع الرسول الكريم نصح الرجل الذى قـدم هديـة الخمـر أن يذهب فيبيع الخمر لمن يشربها من غير المسلمين طالما أصبحـت الخمـر محرمـة على أبناء الإسـلام، وظـن الرجـل أنـه يمكـن الاتجـار فـى الخمـور وبيعـها لغـير المسلمين، ونسى أن التحريم كان قاطعا وعاما ولا يحل لمسلم أن يشـرب الخمـر أو ينتفع بثمنها أو يروجها أو يحضر مجلسها أو يشارك فى تقديمها..

وعندئذ قال النبى ﷺ:

إن الذى حرم شربها حرم بيعها..

أحكام فى الصيد

خلق الله تعالى أنواعا شتى من الطيور والأنعام، منها ما يحل أكله ومنها ما لا يحل، وقد ربط الله تعالى الحل بالطيبات، والحرمة بالخبائث..

ومن الآيات الجامعة فى ذلك قول الله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

(المائدة / ٣)

وكان الصحابة رضى الله عنهم يسألون عن أمور حياتهم ومعاشهم حتى يتحروا الحلال الطيب ويتجنبوا الحرام الخبيث، وقد جاء رجل يسمى أبا ثعلبة الخشنى وسأل عن مسائل مهمة:

المسألة الأولى: قال : يا رسول الله إنا بأرض قوم من أهل الكتاب نأكل فى آنيتهم، يعنى أنه يعيش فى منطقة يقطنها غالبية من اليهود والنصارى ويتعامل معهم ويستعمل آنيتهم مع أنهم يأكلون الخنزير ويشربون الخمر فى هذه الأوانى فهل يا ترى تكون نجسة فلا يستعملها المسلم؟

المسألة الثانية: إنا بأرض صيد يصيدون بالقوس ويصيدون بالكلب المعلم وأحيانا بالكلب غير المعلم، فما الذى يحل أكله من هذا الصيد؟

ومعنى الكلب المعلم إذا أرسله صاحبه استرسل، وإذا زجره انزجر، وإذا صاد شيئا لم يأكل منه شيئا..

ويريد السائل أن يستفتى رسول الله ﷺ عن الصيد بهذه الوسائل، فهو أحيانا يصيد بالقوس يطلقه على فريسته فيصيب منها مقتلا، وأحيانا يستخدم الكلب المدرب على الصيد يطلقه فيأتى بالفريسة وقد ماتت، وأحيانا يستخدم الكلب غير المدرب فما حكم هذه الأنواع؟

لقد أفتى رسول الله ﷺ عن كل مسألة، فبالنسبة لآنية أهل الكتاب فإن وجدنا غيرها مما لا يستخدم فى النجاسات فهو أولى وإن لم نجد غيرها غسلناها حتى تطيب نفوسنا، فالإناء ليس نجس العين فى ذاته ولكنه متنجس يطهر بالغسل بالماء..

وأما الصيد بالقوس فهو حلال شرعا متى أطلقه المرء باسم الله وكذلك الصيد بالكلب المعلم فإنه جائز شرعا، ويجوز الأكل من الصيد حينئذ حتى ولو أدركه المرء وقد فارق حياته..

أما الصيد بالكلب غير المعلم فالحكم الشرعى أن الإنسان إذا أدرك الصيد وفيه حياة فعليه أن يذبح الصيد ذبحا شرعيا ليحل أكله، أما إذا كان الصيد ميتا فلا يأكل منه شيئا..

هذا الصحابى سأل النبى الكريم عن أشياء مهمة تتعلق بحياة الناس، وعندئذ قال النبى ﷺ:

أما ما ذكرت أنكم بأرض قوم من أهل الكتاب تأكلون فى آنيتهم فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها، وأما ما ذكرت أنك بأرض صيد فما أصبت بقوسك فاذكر اسم الله ثم كل، وما أصبت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله ثم كل، وما أصبت بكلبك الذى ليس بمعلم فأدركت ذكاته فكل..

شراء الإنسان لما تصدق به

صحابة رسول الله ﷺ هم خير القرون، وقد جادوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله، ولم يدخروا وسعا فى نصرة الإسلام، وكانوا متعاونين متراحمين مثل الجسد الواحد تؤلمه الشوكة وتعمه الفرحة..

ومن خلال معاملاتهم وتوجيه رسول الله ﷺ لهم نستطيع نحن أن نصحح مسيرتنا الاجتماعية كلها ونواصل العطاء على درب الخير والبر والمعروف..

ويحدثنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن موقف خاص به كان للرسول الكريم فيه توجيه عام، فيقول: حملت على فرس عتيق فى سبيل الله، أى أنه تصدق بفرس نفيس جواد سابق، لأن الصحابة كانوا ينفقون من أحب أموالهم يبتغون رضوان الله وثوابه..

وقد أعطى عمر هذا الفرس لرجل يجاهد عليه فى سبيل الله، لا يجد ما يحمله.. فالخيل يومئذ هى عدة الجهاد الرئيسية، ولها دور بارز فى المعارك.

لكن هذا الرجل الذى تصدق عليه عمر بفرسه أضاعه أى قصَّر فى القيام بعلفه ومؤنته حتى هزل الفرس، وظن عمر رضى الله عنه أن الرجل لا يستطيع الاستمرار فى رعاية الفرس، والقيام على شئونه لقلة ماله، وربما باعه بثمن بخس، بل إن بعض الروايات تذكر أن عمر رأى الفرس يباع..

فوقع فى نفس عمر أن يشترى الفرس من الرجل ويعطيه ثمنه، ويعود إليه الفرس الذى تصدق به..

فيا ترى هل يجوز شرعا لمن تصدق بشىء أو أخرجه فى زكاة أو كفارة أو نذر أو نحو ذلك من القربات أن يشتريه ممن دفعه هو إليه؟!

إن الصحابة رضى الله عنهم دائما كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن كافة تصرفاتهم وأحوالهم، يستفتونه ويتعلمون منه أمور دينهم ودنياهم..

لقد ذهب عمر رضى الله عنه يسأل رسول الله.

عندئذ قال النبى ﷺ :

لا تبتعه (لا تحاول شراءه) ولا تعد فى صدقتك، فإن العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه..

تأليف بعض الناس بالعطاء

الناس فى إيمانهم على درجات، وبعضهم يريد عطاء الدنيا بجوار عطاء الدين، وشأن ولاة أمور المسلمين والقائمين على الدعوة أن يتخذوا الوسائل المتعددة لجذب الناس إلى الإيمان بالحجة والبرهان أولاً وبالعطاء والمعونة والمال ثانيا..

ولهذا كان من مصارف الزكاة الشرعية مصرف المؤلفة قلوبهم، وقد أشار إليهم القرآن المجيد فى قول الله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

(سورة التوبة — ٦٠)

ويحدثنا أحد الصحابة رضى الله عنه فيقول: أعطى رسول الله ﷺ رهطا وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله ﷺ منهم رجلا لم يعطه وهو أعجبهم إلىّ..

لقد ظن هذا الصحابى أن العطاء يكون بحسب الفضائل فى الدين، وظن أن النبى ﷺ لم يعلم حال هذا الإنسان المتروك..

فماذا فعل هذا الصحابى؟ إنه يقول: فقمت إلى رسول الله ﷺ فساررته فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان والله إنى لأراه مؤمنا.. لقد حلف هذا الصحابى ليؤكد أن الرجل يستحق العطاء لإيمانه ظنًا منه أن الرسول الكريم يوزع العطاء حسب درجات الإيمان..

وسكت هذا الصحابى قليلا ورأى أن الرسول ماضٍ فى توزيعه ولم يعط هذا الرجل شيئا..

يقول الصحابى: ثم غلبنى ما أعلم منه فقلت: يـا رسـول الله مـالك عـن فـلان فوالله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما، فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فقلت يـا رسول الله مالك عن فلان فو الله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلمًا.

وبعد هذه المرات الثلاث كان لابد من تنبيـه هـذا الصحـابى إلى مقيـاس العطـاء وأساس التوزيع، فالمال ليس جزاء على الإيمان، فإن المؤمن جـزاؤه أعلـى وأجـل، وإن المؤمن ينتظر فى جنة عدن ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطـر علـى قلب بشر، ويحظى المؤمن فى هذه الدنيا بالسـكينة والهـدوء والاطمئنـان وانشـراح الصدر..

قال الله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

(البقرة — ٢٥)

إن المؤمن الكامل لا يتزعزع يقينه سواء أقبلت عليه الدنيا أو أدبرت، لعلمـه أن القبض والبسط ابتلاء من الله تعالى لعبده..

ولقد كان الرسول الكريم يكل هؤلاء الصادقين لإيمانهم ويعطى ناسًا فى إيمانهم ضعف لو لم يعطهم لكفروا..

ولما كان هذا الصحابى لم يدرك هذا المعنى العميق — عندئذ قال النبى ﷺ:

إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلىّ منه خشية أن يُكبَّ فى النار على وجهه.

القناعة والقصد
فى جمع المال

الإسلام يدعو المسلم لجمع المال حلالا طيبا، وصرفه فى البر والمعـروف، حتـى ينأى بنفسه عن دنايـا المـادة والتكـالب عليـها، فإن المـال وسيلة وليـس غايـة، والعاقل يأكل ليعيش، ولا يعيش ليـأكل، وقـد شبه الله تعـالى الكـافرين المترفين بالأنعام فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾.

(محمد / ١٢)

كما حكم القرآن المجيد بأن مآل الكـافرين فـى الجحيـم يـوم القيامـة لأنـهم لم يتركوا متعة حراما إلا وحرصوا عليها والتهموها بشره فقال:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

(الأحقاف / ٢٠)

وذات يوم قام رسول الله ﷺ خطيبا فقال:

لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيـا.. أى أن الرسول يحذر أمته من التكالب على جمع المـال والتصـارع عليـه، فـهذا هـو أشد ما يخشاه الرسول أن يقع فى أمته، لأنه يدفـع النـاس عنـد الأثـرة إلى سـفك الدماء وانتهاك الحرمات..

وعندئذ قال الرسول

فقال رجل: يا رسول الله أيأتى الخير بالشر؟

لقد ظن الرجل أن المال خير محض واستبعد أن يعقبه شر، فإن الناس يسعون لجمع المال لرفع مستواهم الاقتصادى وتحقيق المنافع الخاصة والعامة، فكيف يتخوف الرسول من كثرة المال لدى المسلمين؟!

فصمت الرسول ﷺ فترة من الزمن، وكان يوحى إليه فيها، فقد جاء في بعض الروايات: فسكت عنه رسول الله ﷺ، فقيل للرجل: ما شأنك تكلم رسول الله ولا يكلمك؟ ورأينا أنه ينزل عليه، فأفاق يمسح عنه الرحضاء (العرق).

فالرسول ﷺ كان يتصبب عرقا عند لحظة الوحى، فلما انكشف عنه الوحى دعا الرسول الرجل السائل وشرح له حقيقة المسألة، فالخير الحقيقى لا يأتى إلا بخير، لكن المال ليس خيرا مطلقا، بل قد يكون فتنة، وذلك مرهون بعقيدة الإنسان الذى يجمع المال، فإن استعمله فى البر والمعروف وصلة الأرحام وقضاء حوائج الناس فهو خير، وإن استعمله فى الشهوات والملذات الآثمة والتكبر على خلق الله فهو شر..

وضرب الرسول لذلك مثلا بأن ما ينبت بماء المطر قد يكون جميل المنظر حسنا فتأتى بعض الدواب تأكل منه حتى تصاب بالتخمة فتموت وتأتى دواب أخرى فتأكل بقدر وتقتصد فيه فلا تصاب بأذى، وإن أكلت كثيرا فإنها تحاول أن تتخلص منه فتجلس فى الشمس وتجتر ما فى بطنها لتعيد مضغه ثم تبلعه وبذلك تتخلص من الزائد حتى لا يضرها..

ويمكن أن نقول أيضا إن هناك نباتا بهيجا ولكنه سم قاتل، تسرع إليه بعض الحيوانات مخدوعة بمنظره فتلقى حتفها، وهناك نبات قد يكون أقل بهجة ولكنه أكثر نفعا..

وهكذا فالمال له جاذبية تخدع كثيرا من الناس فيهلكون به تخمة وبطرا ومتعة حراما، أما من لا يخدع به فهو يكتفى بما ينفعه وإذا جمعه من حلال فرقه على وجوه البر فعاش سعيدا هانئا..

عندئذ قال النبى ﷺ:

إن الخير لا يأتى إلا بخير، أو خيرٌ هو ! إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا (بالتخمة) أو يُلمّ (يقارب)، إلا آكلة الخضر، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ثلطت أو بالت ثم اجترت فعادت فأكلت، فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذى يأكل ولا يشبع.

الإيثار فضيلة الأنصار

الأنصار هم الذين آووا رسول الله فى المدينة وناصروه، وفتحوا ديارهم للمهاجرين القادمين من مكة، واقتسموا الأموال معهم، وقد امتدح الله تعالى هذا الصنيع فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(الحشر / ٩)

وقد بدأ الجهاد فى المدينة بعد الهجرة، وتحمل المسلمون من المهاجرين والأنصار – البأساء والشدة حتى انتصر المسلمون وبدأت الغنائم تتوالى عليهم، فقسمها رسول الله ﷺ بحكم الله فى قوله تعالى:

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

(الأنفال / ٤١)

وفى غزوة حنين التى كانت فى العام الثامن للهجرة بعد فتح مكة حدث أن انهزم المسلمون أول الأمر ثم نصرهم الله نصرا عزيزا، وجمعوا غنائم كثيرة، وبدأ الرسول يوزع الغنائم فرأى أن الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة ما زالوا حديثى

عهد بكفر، وأراد أن يتألفهم حتى يعمق الإيمان فى قلوبهم، فصار يعطى هؤلاء الرجال المائة من الإبل..

وهنا بدأت الشكوك تراود بعض الأنصار فقالوا:

يغفر الله لرسول الله - يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم..!!

فوصلت هذه المقالة إلى رسول الله ﷺ فجمع الأنصار فى خيمة وأتاهم..

وفى البداية سألهم: أفيكم أحد من غيركم؟ فقالوا: لا إلا ابن أخت لنا، فقال: إن ابن أخت القوم منهم..

ثم بدأ يقص عليهم ما بلغه فقال: ما حديث بلغنى عنكم؟

فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسوله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم.. وكان الأنصار لا يكذبون..

فشرح لهم الرسول ﷺ حقيقة الموقف، وهو أن عطاء هؤلاء الذين أسلموا حديثا من قريش لا يدل على حب رسول الله لهم أكثر من حبه للأنصار، ولا يستدل منه على أنهم أفضل من الأنصار، ولا أنهم أبلوا بلاء فى الجهاد أكبر من بلاء الأنصار..

ولكن للعطاء هدف آخر هو تأليفهم وجذبهم للاستمرار على الدين الجديد، وتظل للأنصار مكانة لا تسامى، ومنزلة لا تدانى، وهى أنهم أولى برسول الله من غيرهم، فحياة رسول الله مرتبطة بهم ومماته فى أرضهم..

وإذا رجع الناس بغنائم وأموال فإن الأنصار ألصق برسول الله من سائر الناس، فالرسول يعيش بينهم ويبارك حياتهم، وقد آثرهم من دون الناس بهذه المكرمة، فرضى الأنصار واستبشروا خيرا، وبشرهم الرسول ﷺ بأنه سيكون فرطهم على الحوض يوم القيامة، يسبقهم إلى الحوض ويقدم لهم شربة هنيئة فى هذا اليوم العصيب لا يظمأون بعدها أبدا..

عندئذ قال النبى ﷺ:

إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإنى أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم، لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار..

وفى رواية: **فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، قال: فإنكم ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض .. قالوا: سنصبر.**

فضل النفقة على الأقربين

المال نعمة حيث ينتفع به المرء فى نفسه ومجتمعه انتفاعا صحيحا، ويكون نقمة حيث يسرف المرء ويغشى الشهوات والمآثم..

وقد وعد الله تعالى – ووعده الحق – أن يبارك النعمة التى يلتزم صاحبها بحدود الله فقال جل شأنه:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾

(إبراهيم / ٧)

وقد كان أحد الصحابة، وهو أبو طلحة، أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، جمعه من حلال، وصرفه فى البر، وحرص على مرضاة الله تعالى فيه، وكان أحب أمواله إليه (بَيْرحَى) – وهى حديقة –، وكانت مستقبلة المسجد النبوى الشريف، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب..

أى ان هذه الحديقة جمعت مزايا كثيرة، فهى خضراء تسر الناظرين، وفيها ماء زلال، وبجوار مسجد الرسول، ذلك المسجد الذى له المكانة والمنزلة فى الدين، فالصلاة فى المسجد النبوى تعدل فى الأجر والثواب – ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة..

ولما نزلت الآية الكريمة:

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢ ﴾.

(آل عمران / ٩٢)

وكان الصحابة أسرع الناس إلى امتثال الأمر واجتناب النهى، وأحرص الناس على دين الله، وأشد الناس حبا لله ورسوله، وأكثر الناس ولاء للحق والقيم..

قام أبو طلحة رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ وقال:

إن الله يقول فى كتابه: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»، وإن أحب أموالى إلىّ بَيْرحَى، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت.

لقد أراد هذا الصحابى الجليل أن يبرهن برهانا صادقا على يقينه الكامل بوعد الله، وثقته المطلقة بثواب الله، فتنازل عن أحب أمواله طواعية واختيارا وإيثارًا، وجاء إلى رسول الله ﷺ يفوضه فى التصرف فى هذه الحديقة بما يراه مناسبا ومحققا لمصلحة المسلمين..

فإن المال عرض زائل وعارية مستردة، وحين يتصدق الإنسان بالفانى من الدنيا إيثارا للباقى من ثواب الآخرة يكون قد بلغ من عمق الإيمان مبلغا عظيما، ووصل فى الإحسان رتبة عليا، وحقق نقاء روحيا ساميا، فإن المال شقيق الروح، وانفاقه فى سبيل الله يحتاج إلى مجاهدة كبيرة..

وقد علم الرسول ﷺ هذا الصحابى كيف يحصل على الثواب والرضا من الله بما يجمع له خير الدنيا والآخرة، فأرشده إلى أن يتصدق بماله هذا على أقربائه وذوى رحمة الفقراء، فإن الصدقة على هؤلاء لها أجران: أجر صلة الرحم، وأجر صدقة المال.

وبذلك يصل الإنسان رحمه ويخرج صدقة ماله ويحصل على مرضاة الله عز وجل.. فإن بعض الناس يغض الطرف عن مساعدة ذوى قرباه المحتاجين، ويبذل ماله هنا وهناك وينسى هؤلاء..

إن كفالة ذوى القربى آكد وأشد إلزاما، وهى فى أوليات النفقة..

ولقد استجاب أبو طلحة لنصيحة رسول الله وقسّم صدقته فى أقاربه وبنى عمه.. عندئذ قال النبى ﷺ:

بخ (كلمة تعنى تعظيم الأمر وتفخيمه)، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعتُ ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين.

البحث عن المسكين المتعفف

الإسلام دين العزة، يأبى للمسلم أن يكون ذليلا، والإسلام دين العمل يأبى للمسلم أن يكون كسولاً خاملاً، والإسلام دين الإيثار يأبى للمسلم أن يكون شحيحا بخيلا..

وقد أمر الله تعالى بالسعى وبذل الجهد لاكتساب لقمة العيش وتوفير مطالب الحياة، قال الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾.

(الملك / ١٥)

والتسول جريمة يعاقب عليها الدين ويمنع منها، لأنه يترتب عليها مجموعة مفاسد، فهى تجرح عزة المؤمن، وهى تحول بين الإنسان والعمل الشريف وتدفعه إلى التكاسل والخمول، ثم هى أكل لأموال الناس بالباطل، والذين استمرأوا التسول واتخذوه مهنة لا يتعففون عن أخذ أى شىء، ولا يمتنعون عن طلب أى شىء، ولا يقفون فى السؤال عند حد ولهذا قال رسول الله ﷺ:

(ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان).

فمثل هذا الشخص لا يكترث به المسلم كثيرا، فمن تعود السؤال وألحف فيه واتخذه حرفة قد لا يكون محتاجا وليس أهلا للصدقة.

وقد عجب الصحابة رضى الله عنهم من مقالة رسول الله ﷺ وتساءلوا: فما المسكين يا رسول الله؟

فإن من شأن المسلم الصادق أن يبحث عمن يستحق الصدقة، ويسعى إليه ليقدمها له، فإن الغنى الشاكر يرى نفسه أحوج إلى ثواب الصدقة من الفقير إلى الصدقة نفسها، ولهذا فهو يجيد البحث عن المسكين لتصل الصدقة إلى مستحقها..

وقد وضع الرسول ﷺ ضوابط لمثل هذا المسكين المستحق للصدقة، فهو رجل محتاج لا يجد ما يكفيه لعجزه عن العمل أو لعمله الذى لا يدر عليه كفايته.. ومع ذلك فهو يتوارى عن أعين الناس، لا يريق ماء وجهه فى السؤال، ولا يذل نفسه بالإلحاح، وليس من اليسير اكتشاف حاله، بل يحتاج إلى فطنة من الأغنياء.. كما قال الله تعالى:

﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾.

(البقرة / ١٧٣)

ولما تساءل الصحابة عن تعريف المسكين المستحق للصدقة، عندئذ قال النبى ﷺ:

الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفْطن له فَيُتَصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا.

العطاء دون سؤال

عاش الصحابة مع رسول الله ﷺ يقتفون أثره، ويتأدبون بأدبه، ويتعلمـون مـن توجيهاته، ويستشيرونه فى حياتهم كلها..

ومن خلال التعامل اليومى بـين الرسـول والصحابـة وضحـت للمسـلمين منـاهج للتربية تُصلح الحياة وتُسعد الأحياء..

والزهد والقناعة والعفة والترفع عن السؤال من معالم الحياة الإسلامية، لقد كان رسول الله ﷺ يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء المالى لأن الرسول كـان يتفقد أصحابه ويهتم بشئون حياتهم ويحرص على ادخال السـرور عليـهم.، ومـع ذلك كان عمر بن الخطاب يقول للرسول ﷺ: بأدب جم: يارسول الله أعطـه أفقـر إليه منى..

إن روح الإيثار والتضحية كانت هى السائدة فى مجتمع المسـلمين، ولم يكونـوا يعرفون الشحناء ولا البغضاء ولا الحرص على المال.. وانطوت قلوبـهم علـى حـب عميق لبعضهم بعضا، وغلب عليهم تقديم حق الآخرين على حقوق أنفسـهم، فـإن مجتمع المسلمين كالجسد الواحد إذا اشـتكى منـه عضـو تداعـى لـه سـائر الجسـد بالسهر والحمى، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا..

لذلك كان عمر بن الخطاب إذا جاءه عطاء ومنحة من بيت مال المسلمين يرجـو من الرسول ﷺ أن يمنحه لمن هو أفقر منه وأحوج إليـه، وظـل عمـر هكـذا يرفـض العطـاء بعـزة نفـس وإيثـار، حتـى إذا كـان ذات مـرة علّمـه الرسـول ﷺ الموقـف الصحيح فى هذه المسألة..

فطالما أن المال أو المنحة من الحاكم لأحد المواطنين قد جاءت إليـه دون تطلـع، ودون حرص، ودون سؤال، ودون تملق ونفـاق فـلا بـأس حينئـذ علـى المواطـن أن يتقبلها شاكرا لولى الأمر هذه اللفتة الكريمة، ويمكن للمواطن أن يتصـرف فـى هـذا

المال الممنوح بما يراه مناسبا، ويضعه فى منفعة بيته الخاص أو منفعة مجتمعه العام، فله أن يأكل منه ويتصدق..

وحين يأتى المال من ولى الأمر تحت إلحاح من المواطن وحرص شديد وأثرة وأنانية فلا يحق له أخذ العطاء، ويكون المال سحتا حراما..

وهكذا حاول عمر بن الخطاب أن يرفض العطاء تعففا مرة بعد مرة متعللا بقوله: يا رسول الله أعطه أفقر إليه منى..

عندئذ قال النبى ﷺ:

خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك.

أصحاب المسألة

المسلم يتعفف مهما كان فقيرا، ويظل حريصا على ماء وجهه يصونه عن الابتذال، والحياة الدنيا لا يصلحها إلا القناعة، فالقناعة كنز لا يفنى، ومتى فتح المرء على نفسه باب السؤال فقد فتح على نفسه باب الذل..

لكن أحيانا يجد الإنسان نفسه مضطرا لأن يسأل، فإذا وصل إلى حال الضرورة فإن الضرورات تبيح المحظورات..

وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه عزة النفس، ويدفعهم إلى التجلد والصبر ويدعوهم إلى القناعة والزهد.. وكان يقول لهم (لا تسألوا الناس شيئا)، وقد التزموا بذلك التزاما أمينا حتى كان يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه..

ويروى أحد الصحابة وهو قبيصة بن مخارق الهلالى فيقول: تحملت حمالة، أى استدان لإصلاح ذات البين، فقد تنازعت قبيلتان أو جماعتان أو رجلان، وتدخل هذا الصحابى ليحل المشكلة وتحمل دينا على نفسه يؤديه لأحد أطراف النزاع حتى يحسم الشر ويمنع الأذى ويوقف العدوان ويستأصل من النفوس نزغات الشيطان..

ولما تحمل هذا الصحابى دينا فى هذا الخلاف والنزاع الذى لا ناقة له فيه ولا جمل جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب مساعدة حتى يتمكن من سداد الدين، إذ هو من مصارف الزكاة المشروعة المذكورة فى قوله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

(التوبة / ٦٠)

فهو يدخل تحت صنف (الغارمين).

فقال الرسول ﷺ: أقم حتى تأتينا صدقة فنأمر لك بها، ثم نصحه الرسول نصيحة عامة، وبين له أن المسألة والسؤال لا يحل لمسلم أن يجترأ عليها إلا فى حالات ثلاث:

الأولى: مثل حالة هذا الصحابى الذى تحمل دينا للإصلاح بين الناس فيحق له السؤال وطلب المعونة حتى يستكمل سداد الدين.

الثانية: رجل فقد ماله فى كارثة عامة أو خاصة فيحق له السؤال حتى يجد ما يقيم أوده ويصلح حياته.

الثالثة: رجل فقير لا يجد كفافا ولا كفاية، وظهر ذلك علانية، واشتهرت بين قومه فاقته وحاجته فيحق له السؤال حتى يجد ما يسد رمقه ويمسك عليه حياته..

وما عدا الحالات الثلاث يُعد السؤال حراما، وما تجمع من أموال حينئذ لا يبارك الله فيها وتكون وبالاً على صاحبها فى الدنيا والآخرة..

لقد قام الصحابى الجليل قبيصة بن مخارق الهلالى بموقف إنسانى نبيل للإصلاح بين الناس، ولما جاء إلى الرسول الكريم يطلب منه المساعدة والمشاركة عندئذ قال النبى ﷺ:

يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه، لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت، يأكلها صاحبها سحتا.

المسارعة لقضاء الديون

من أدب الإسلام وكرامة الإنسان – دفن الميت بعد غسله وتكفينه والصلاة عليه، وشأن الإنسان العاقل أن يلقى ربه بريئا من حقوق العباد بلا اعتداء ولا ظلم حتى لا يقتص منه يوم القيامة، فتؤخذ حسناته وتعطى لصاحب الحق، فإن لم تكن له حسنات تحمل من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم طرح فى النار، ولا يظلم ربك أحدا..

ولهذا كان رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل الميت عليه ديون فيسأل هل ترك لدَيْنه قضاء؟!

فالرسول ﷺ قبل أن يصلى صلاة الجنازة يسأل هل على الميت ديون لأحد من الناس، فإن كان عليه دَيْن وترك وراءه مالا يفى بسداد ديونه صلّى عليه ودعا له..

وإن كان الميت لم يترك ما يفى بدينه رفض رسول الله ﷺ أن يصلى عليه صلاة الجنازة وقال لمن حوله: صلوا على صاحبكم..

وكان هذا توجيها حكيما رائدا من الرسول ﷺ لأمته حتى يحرص كل إنسان على أن يعجل بإبراء ذمته وأداء الحقوق لأصحابها دون إمهال أو تأخير..

فكل مسلم يلتمس دعاء رسول الله ﷺ، ويتمنى أن يقف الرسول أمام جسده المسجى مصليا عليه، فإذا علم أن الرسول الكريم لن يصلى على مدين كان ذلك دافعا له للسعى الحثيث لقضاء دينه قبل أن يدركه الموت، فإن الموت يأتى فجأة «وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت».

ولم يكن الرسول ﷺ فى هذا الوقت يملك مالاً ولم يكن للمسلمين حينئذ بيت للمال العام..

فلما فتح الله على المسلمين الفتوح وجاءت الغنائم وكثرت الأموال - تولى الرسول ﷺ بنفسه قضاء ديون موتى المسلمين، فحين يحمل ميت ويوضع أمام الرسول ويسأل عنه ويعلم أن عليه دينا - يقوم الرسول ﷺ بأداء ما عليه لصاحبه ثم يصلي عليه صلاة الجنازة، فالرسول بالنسبة للمسلمين كأبيهم يرعى مصالحهم ويتولى شئونهم وهو ﷺ أحرص عليهم من أنفسهم.

وهذا موقف نسديه إلى الحكومات الإسلامية أن تعمل على مساعدة المواطنين وتيسير الخدمات لهم وحسن القيام برعايتهم..

إن رسول الله ﷺ جاءته الغنائم وتفقد أحوال المسلمين، وعندئذ قال:

أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دَيْن فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته..

حسن قضاء الدَّيْن

تعاون الناس فريضة، وتبادل الخدمات بينهم ضرورة، ومساعدة بعضهم بعضا واجب حتمى لاستمرار الحياة..

وعندما يقدم إنسان لآخر معروفا أو برا أو صلة فالشكر يكون برد مثله أو أحسن منه حتى تظل القلوب صافية والعلاقات وطيدة.. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾.

(النساء / ٨٦)

ويحدثنا أحد الصحابة وهو أبو رافع — أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل بكرا، أى اقترض منه جملا صغيرا..

والقرض الحسن هو باب من أبواب التعاون والبر بين الناس، وقد تعامل به رسول الله بيانا للجواز، وقدوة للناس دائنا ومدينا.. وقد قال الله تعالى:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

(الحديد / ١١)

والتعامل بالقرض الحسن غير التعامل بالربا، فإن الربا حرام، وممارسته كبيرة من كبائر المعاصى، والكسب منه سحت خبيث.. قال تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾.

(الروم / ٣٩)

والإنسان المقترض ينبغى عليه حسن الوفاء وشكر المقرض لأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله..

وعندما قدمت إبل الزكاة التى يجمعها العاملون عليها لتوزيعها على فقراء المسلمين – أمر رسول الله ﷺ أبا رافع أن يشترى بكرا يناسب البكر الذى اقترضه ليرده على صاحبه..

ورجع أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فقال: لم أجد فيها إلا خيارا رباعيا، والمعنى أنه لم يجد بكرا بالسن المناسبة لسن البكر الذى اقترضه الرسول الكريم. وإنما وجد أكبر منه وأحسن منه، وتزيد قيمته على قيمة البكر المقترض..

والرباع هو من استكمل ست سنين ودخل فى السابعة..

ومع ذلك أمر رسول الله ﷺ أبا رافع أن يشترى هذا الجمل الرباع، ويدفعه إلى صاحب البكر الصغير، فإن مكارم الأخلاق تقتضى الزيادة فى الأداء، سواء كانت زيادة صفة أو زيادة عدد، كمن اقترض بكرا وأدى رباعيا، أو اقترض خمسا فأدى سبعا..

وهذه الزيادة ليست حراما، وليست من باب القرض الذى جَرّ نفعا، فإن المنهى عنه هو اشتراط ذلك فى العقد، أما من أقرض الناس حسبة لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، ثم جاء المقترض ورد دَيْنه بالزيادة فهذا من باب مكارم الأخلاق وشكر المعروف، ويجوز للمقرض أخذ الدين مع الزيادة إن شاء، ولو تعفف واكتفى بأصل دينه فهذا معروف آخر وأدب يحسب له..

إن أبا رافع رجع إلى رسول الله ﷺ وذكر له أنه لم يجد البكر المناسب لبكر المقرض، وإنما وجد جملا أكبر سنا وأغلى ثمنا..

عندئذ قال النبى ﷺ:

أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء.

حقيقة المفلس

كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الدين ومكارم الأخلاق، ويضرب لهم الأمثلة، ويقدم لهم النماذج، ويحاورهم حتى يكون العلم أسبق إلى قلوبهم وأرسخ في عقولهم وأبقى في سلوكهم..

وأحيانا كان رسول الله ﷺ يقدم لهم مفاهيم جديدة لأمور اصطلح الناس عليها وفهموها فهما معينا، فيغير الرسول الكريم هذا الفهم ويبين لهم الحقيقة الكاملة..

وذات يوم سأل الرسول ﷺ أصحابه قائلا:

أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع..

لقد تحاور الرسول الكريم مع أصحابه حول مفهوم المفلس، ولقد شاع بين الناس أن المفلس هو الإنسان الذى ارتكبته الديون ولا يملك مالا أو عقارا، ولا يستطيع الوفاء بديونه التى اقترضها..

وهذا المفهوم للمفلس نسبى قد يزول، فإن دوام الحال من المحال، وأغنياء اليوم فقراء الأمس، وقد يكون فقراء اليوم أغنياء الغد.. كما قال الله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

(آل عمران / ١٤٠)

ومداولة الأيام تعنى تغير الأحوال بين الغنى أو الفقر، والنصر أو الهزيمة، والصحة أو المرض، والإنجاب أو العقم، والحياة أو الموت..

ومن هنا نبه الرسول ﷺ إلى حقيقة جديدة تتعلق بمعنى الإفلاس، ذلك هو ما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية والتعامل مع الخلق، فإن الإنسان مسئول أمام الله تعالى عن أعماله خيرها وشرها، وإن المرء الذى يعتدى على حقوق الآخرين من

سب وإيذاء وسرقة وظلم وسفك دماء وغير ذلك — يتعقبه الله تعالى ويجرى عليه حكمه العدل..

فمثل هذا الإنسان الظالم لإخوانه ومجتمعه مطالب شرعا برد الحقوق لأصحابها والسعى لينال مسامحتهم له فى هذه الدنيا، قبل أن تأتى لحظة الموت ويفارق هذه الحياة، وينتقل إلى لقاء الله تعالى، ويقف بين يدى ربه جل شأنه فيحاسبه حسابا عسيرا..

ويتحقق العدل حينئذ بأن يأخذ الله تعالى من حسنات هذا الظالم فيعطى لأصحاب الحقوق حتى يستوفوا، فإذا لم توجد حسنات لهذا الظالم تحمّل هو من سيئات أصحابه بقدر مظلمته فتتضاعف عليه السيئة ولا يبقى له حسنة، ويكون مصيره الهلاك وبئس المصير..

إن هذا المفهوم الجديد للمفلس يدفع المرء إلى حسن المعاملة ولين الجانب وكرم الأخلاق كما يدفع بالمرء إلى سرعة التوبة وضرورة التخلص من حقوق العباد، والحرص على إبراء الذمة حتى يلقى الله طاهرا مطهرا..

إن الرسول ﷺ سأل أصحابه عن مفهومهم للمفلس ولما أجابوا بما يعلمون، عندئذ قال النبى ﷺ:

إن المفلس من أمتى مَنْ يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار.

فضل الشهادة فى سبيل الله
وأهمية إبراء الذمة

كان رسول الله ﷺ يعظ أصحابه، ويقدم لهم النصيحة، ويرشدهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.. ليعملوا بهذه التوجيهات النبوية الكريمة ويعلموها للناس من بعده، ويقوم كل جيل بنقل هذا الميراث النبوى حتى يتواصل الاقتداء وحسن العمل..

وذات يوم قام الرسول ﷺ فى أصحابه خطيبا، فذكر لهم أن الجهاد فى سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال.. وهذا لا شك فيه، فإن عقيدة الإنسان هى ميزان سلوكه، وقانون حياته، وعنوان مسيرته لعمارة الدنيا وسعادة الآخرة..

والعقيدة فى حاجة إلى حماية من الأعداء المتربصين بها، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولكن هيهات فإن الله ناصر دينه، ومؤيد أوليائه، والعاقبة دائما للمتقين..

وطالما أن الإيمان والجهاد هما أفضل الأعمال تقربا إلى الله تعالى، فمن سلك طريقهما فقد طهر نفسه واستقام على الجادة وصحح مسيرته فى الحياة، وحينئذ يلقى الله راضيا مرضيا، ولهذا قام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت فى سبيل الله يكفر عنى خطاياى؟

إن الشهادة هى أسمى مراتب الثواب، وأعلى مقامات العمل، وأجل منزلة عند الله، فليس هناك أكبر عملا ممن جاد بنفسه وضحى بحياته من أجل دينه وإسلامه..

فقال له رسول الله ﷺ: نعم إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر..

صحيح أن الشهادة فى سبيل الله هى قمة العمل الدينى، لكنها ليست مجرد تضحية خالية عن الهدف النبيل، فلابد أن يصحبها حسن النية والإخلاص الكامل لله، والرغبة الصادقة فيما عند الله بلا شهرة أو رياء أو سمعة..

ثم عاد رسول الله ﷺ فنادى على الرجل السائل وقال: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى؟ لقد أراد الرسول ﷺ أن يذكر الرجل بقضية أخرى ذات أهمية قصوى، ألا وهى الحقوق الاجتماعية..

فالجهاد والموت فى سبيل الله وإن كان له من الثواب والفضل والجزاء ما لا يحصى إلا أن ذلك مشروط بأداء الحقوق لأصحابها، فمن كان عليه دَيْن فلابد أن يسعى فى إبراء ذمته وأداء الدَيْن لصاحبه، فإن الدَيْن هَمٌّ بالليل ومذلة بالنهار، والمسلم عزيز بعزة الله، إن اضطر إلى المداينة فهو لا يهدأ حتى يرد الدين لصاحبه..

ومن مات وعليه دين فروحه محبوسة عن النعيم حتى يقوم أحد من الورثة برد الدين واستسماح صاحبه.

إن النبى ﷺ استرجع الرجل وسأله عما قال. وعندئذ قال النبى ﷺ:

نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدّيْن، فإن جبريل عليه السلام قال لى ذلك..

وفى رواية: **يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَيْن.**

المحتويـــــات

صفحة

صفحة

الفصل الثانى : فى القيم

صفحة

الفصل الثالث : في العبـادات

صفحة

الفصل الرابع : فى الأسرة

الفصل الخامس : فى الطيبات من الرزق

صفحة

رقم الإيداع	٢٠٠٠/١٦٨١٧	
الترقيم الدولى	977-02-6088-6	ISBN

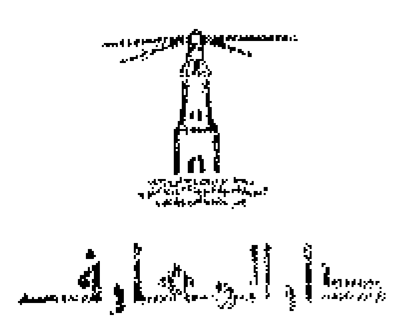
١/٢٠٠٠/٣٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

هذا كتاب غير مسبوق .. يقوم بجولة فى رياض السنة الشريفة . تتضمن وقائع من المجتمع الإسلامى الأول . جرت على شكل حوار عقلى ، أو نبعت من مشكلة ، أو قادت إليها تساؤلات راقية . وكانت الكلمة النبوية بلسما شافيا وحكما عادلا وحكمة بالغة .

ونحن نقدم هذه الوقائع فى إطار الملابسات التى أحاطت بها إلى أن وصلت إلى مقام رسول الله ﷺ ، فقال كلمته الفاصلة .

كتاب لا غنى عنه لأسرتك .



دار المعارف

٠٣١٧٨٨/٠١٠